ابن عقيل الزُّرعي
حياته وشعره

الدكتور شفيق محمد عبدالرحمن الرقب
جامعة مؤتة

ترجمته

ضَنَّت المصادر التي وقف عليها الدّارس بالترجمة لابن عقيل الزُّرَعيّ أو بذكره، ما عدا كتاب (عقود الجمان من شعراء هذا الزّمان) لابن الشَعّار الموصليّ، فقد ورد فيه ترجمة موجزة لهذا الشّاعر. وهو في هذه الترجمة أحمد بن عقيل بن نصر أبو العبّاس الزُّرعي العامريّ[١]، وزُرَعُ[٢] التي يُنْسبُ إليها قرية على باب دمشق.

ولم يَنُصّ ابنُ الشَعَّار على السّنة التي ولد فيها ابنُ عقيل، غير أنه ذكر أنه توفي شاباً في رمضان سنة ٦٢٣هـ[٣]، وهذا يقود إلى القول إنه رُبما ولِدَ في الرّبع الأخير من القرن السادس الهجري.

وقد أشار ابن الشَعَّار إلى اتصال ابن عقيل بالملك الأيوبي المعظم عيسى وملازمته له، وذلك إذ يقول: "خدم الملك المعظم عيسى بن أبي بكر، وجعل له رزقاً يتناوله كل شهر، وله فيه مدائح كثيرة وكان ملازماً حضرته سفراً وحضراً"[٤].

ولم يظفر الدّارس بمعلومات أخرى عن حياة الشاعر، ومن ثم فإنه سيعول على الشعر الذي قاله لرسم صورة تقريبية للمعالم البارزة في حياته.

ومن الظواهر البارزة التي يُمكِنُ استخلاصُها من شعر ابن عقيل نشأته في منطقة حوران، فهو لا يفتأ يذكرُ الأماكن الحورانية في شعره معبراً عن حنينه إليها، وكيف أنه قضى الأيام الجميلة من عمره فيها، كما في الأبيات التالية التي يتمنى فيها – وهو في مصر – أن يعود إلى بلاده، ذاكراً مواضع بعينها[٥].

تـــذكَّرْت فـــي أرض بُؤســـي النّعـــيم وبُشْـــرى البشـــير بِنَيْـــل المُـــرادِ
فمـــرو العـــلاةِ إلـــى بيـــتِ راس فإربـــد فالحصـــن ذات العمـــادِ[٦]
بـــــلادٌ تشـــــوقك دونَ الـــــبلادِ فســـقياً ورَعْيـــاً لهـــا مـــن بـــلادِ

ويُستدّل من شعر ابن عقيل أنه اضطّر إلى مغادرة ديارِ الشّام إلى مصر واتخاذها دار إقامة ردحاً من الزمن. ويبدو أن علاقة الشاعر بأبيه لم تكن مستقرة، وأن صلاته بأقاربه كان يشوبها بعض الكدر، وأنه لم يلق منهم ما كان يأمل فيه من احترام وتقدير، مما لم يمكنه من استمرار الإقامة بينهم، فآثر الهجرة إلى مصر لعلّه يتجنب مظنة الإساءة إلى أبيه وذويه من ناحية، وينتشل نفسه من غيابات الخمول من ناحية ثانية. وقد عبر ابن عقيل عن عدم رضاه عن موقف قومه منه في غير ما موضع من شعره، من ذلك قصيدة أرسلها من مصر إلى أخيه في بلاد الشام، وهي قصيدة دفاقة بالعاطفة ولا سيما حين يعرض الشاعر لذكر أبنائه الصغار الذين تركهم في بلاد الشام، راجياً أخاه أن يكفلهم ويعني بهم لأنهم بمنزلة الأيتام في غيابه عنهم[٧]:

يـــا أخـــي يـــا جُبَيْـــرُ ناشـــدتُك اللـــ ـــه اتَّئـــدْ بالعيـــال والأطفـــالِ
واكتفـــلْ بالـــذين لـــم يبلغـــوا الحلـــ ـــم ولـــم يـــدركوا حـــدودَ الرّجـــالِ
هَبْـــك أنـــي قـــد مـــتّ هـــلْ لعيـــالي فـــي جميـــع الأنـــامِ غيـــرك كـــالي

وتغمر ابن عقيل مشاعر الأنفة وهو يتحدث عن تألب قومه عليه، وعدم

إنزالهم إياه المنزلة التي تليق به:

هلْ رسولٌ عني يبلِّغ قومي   من عقيلٍ أولي النّهى والفعالِ
أنني غير قاطنٍ في بلادٍ   لا يُراعى في مثلِها أمثالي
لستُ آسى على فراق بلادٍ   تُلبسُ الهرَّ بزّة الرّئبالِ

ويتحدث الشاعر بأسى عن تبدل أبيه عليه وجفوته لأبنائه:

وأبوك امرؤٌ عليه فراقي   هيّنٌ، وهو لا يودّ عيالي
ألمثلي يكون هجرٌ ويُلقى   يا ابن أمي يوماً بوجه مُذالِ

وقد ظل ابن عقيل مدّة إقامته في مصر جواباً على أبواب أولي الأمر من ملوك بني أيوب ووزرائهم وغيرهم من زعماء الصّعيد، متكلّفاً جهامة الغربة، آملاً في أن يكتسب بشعره مكانة عند ممدوحيه. وقد تحقق له شيء من هذا الأمل عندما أدناه الملك المعظم عيسى إليه، غير أن بعض المصريين ربما لم يكونوا راضين عن الشاعر، فاستطار الهجاء بينه وبين بعض شعرائهم، كما سنرى فيما يُستقبل من هذه الدراسة، مما جعل بعض أصدقائه يُسدي إليه النصيحة بأن يغادر مصر، ويعود إلى أهله ودياره، وفي ذلك يقول ابن عقيل[٨]:

وقائل خلّ مصراً والثّواءَ بها   فيم المقام ولا أهل ولا ولدُ
وقد تعطلتَ من أشياءَ، قلتُ له: ما ضَرُّ عطلة جيدٍ زانَه الجَيَدُ
تاللّهِ لا رمتُ عن مصرٍ ولا وَخَدَتْ   إلى سواها برحلي عرمسٌ أجدُ

ومع أنّ الأبيات السابقة تصور تشبث ابن عقيل بالإقامة في مصر، فإن مشاعر الحنين كانت تلج به، فيفقد صلابته التي كثيراً ما تظاهر بها، فتجري على

لسانه أبيات الشوق، كما في الأبيات التالية التي قالها سنة ٦٠٨هـ[٩]:

معاهـــد لهـــوي بـــأرضِ السّـــوادِ سُـــقيتِ أفـــاويقَ دَرّ العهـــادِ
وحيّـــا ربوعـــك صـــوبُ الحيـــا بغيـــثٍ يُغـــاثُ بـــه كـــلّ صـــادي
ليـــالي بهـــا مـــن خيـــول الصّـــبا أروضُ إلـــى اللهـــو صَـــعْب القيـــادِ
وكـــفُّ الرّجـــاءِ جناهـــا المنـــى ودَوحُ الرّضـــا مثمـــرٌ بـــالودادِ

وليس من اليسير تعيين السنة التي غادر فيها ابن عقيل بلاد الشام إلى مصر، أو تحديد الفترة التي قضاها في مصر تحديداً دقيقاً، بيد أنه يمكن الاستئناس بتواريخ بعض القصائد لرسم إطار تقريبي للفترة التي قضاها الشاعر في مصر. فأول قصيدة وصلت إلينا، مما قاله في مصر، مؤرخة سنة ٦٠٦هـ[١٠]، وقد تلاها عدد من القصائد مؤرخة بالسنوات ٦٠٧ و٦٠٨ و٦٠٩ و٦١٠[١١]. وربما يصح لنا أن نقول اعتماداً على هذه التواريخ لعل الشاعر كان في مصر في الفترة التي تقع بين سنة ٦٠٦هـ وسنة ٦١٠هـ.

ويُسْتَشَف من شعر ابن عقيل أنه تلا هذه الفترة التي استقر فيها في مصر فترة من التنقل بين مصر والشام؛ إما ملازماً الملك المعظم عيسى في جهاده وأسفاره، وإما منتجعاً ملوك بني أيوب وغيرهم من الأمراء متكسباً بشعره. ولعل هذه الفترة امتدت من سنة ٦١١هـ إلى سنة ٦١٧هـ تقريباً؛ ففي سنة ٦١١هـ أنشد الملك المعظم عيسى قصيدة هنأه فيها بفتح حصن صرخد[١٢]، وفي سنة ٦١٢هـ بعث من ظاهر بيت جبرين قصيدة إلى الخليفة العباسي ببغداد مادحاً[١٣]، وفي سنة ٦١٣هـ مدح صاحب صفد بعدة قصائد[١٤]، ومدح في السنة نفسها متولي الطور، كما هنّأه بالعيد سنة ٦١٤هـ[١٥]، وفي سنة ٦١٥هـ مدح أحد الأمراء بظاهر دمياط[١٦]، وفي سنة ٦١٦هـ مدح الملك المعظم في بانياس[١٧]، وفي سنة ٦١٧هـ أرسل من دمياط قصيدة إلى الملك الأشرف شاه أرمن يستحثه على الجهاد، ويصف ما أصاب المدينة على أيدي الفرنجة[١٨].

ولم يرد فيما وصل إلينا من شعر ابن عقيل قصائد مؤرخة بسنة ٦١٨هـ، غير أنه يلاحظ له نشاط شعري واسع في سنة ٦١٩هـ، وقد كان هذا النشاط في شمال بلاد الشام والجزيرة[١٩]، ولعل هذا يشير إلى أن الشاعر كان في تلك الأنحاء سنة ٦١٩هـ.

وليس في شعر ابن عقيل قصائد قالها سنة ٦٢٠هـ، وربما لم تصل إلينا. وفي سنة ٦٢١هـ قال – وهو في الجزيرة. بضعة أبيات يصف فيها مطراً وبرداً[٢٠]. وفي سنة ٦٢٢هـ أو ٦٢٣ توفي ابن عقيل بدمشق، ودفن بمقابر باب الصغير[٢١].

والسّياق العامّ لشعر ابن عقيل يدلّ على أنه شاعر جوّال متكسب، وأنه ظن أن الشعر هو مفتاح الرزق، لذلك ظل يوالي التنقل على أبواب أولي الأمر يستجديهم بمدائحه، راجياً أن ينتشلوه من وهدة الفقر والحاجة، كما في قوله مخاطباً الملك الكامل[٢٢].

يا ناصر الدّين الّذي أمامُه ... لا يشتكي العافي بها الإقلالا
وافى إليك العامريّ تقوده الـ ... ـآمال يا من يُنجحُ الآمالا
أوَ هلْ يجوزُ لشاعرٍ مثلي يَرى ... لسواك من هذا الورى تسآلا

ويتخذ ابن عقيل التذلل وسيلةً للاستشفاع، فيستكثر ذكر حاجته، وحاجة أبنائه الصّغار، وغربته عنهم كما في قوله مخاطباً الخليفة العباسيّ[٢٣]:

من مبلغٌ عنّي وإن بَعُدَ المدى ... مني أمير المؤمنين سلامي
فقري وعائلتي يعوقاني معاً ... من أن أسير إلى المقام السامي

وتولّد لدى الشاعر عن هذا التنقل المصحوب بالسؤال إحساس بعدم الطمأنينة، فبدا في شعره إنساناً قلقاً لا يستشعر لحظة من أمن أو سكينة؛ لذا ألح في شعره على حاجته إلى الملاذ الآمن والممدوح الذي يوفر له حظاً من الاستقرار، كما في قوله وقد استقر به المهاد في ظلال الملك المعظيم عيسى[٢٤]:

أرَحْتُ عيسَ رجائي مذ وقفت بها لَدُنْ جنابك مِنْ أيْنٍ ومِنْ تَعَبِ
هذا مقامُ أمانٍ لا يُخاف به أَجِرْ به خائفاً من دهرِهِ الأشبِ

ولكن الشاعر لا يلبث أن يقع في صراع مرير بين حاجته وبين اعتزازه بنفسه وإحساسه بكرامته، فتندّ عنه بعض الأبيات التي تصور معاناته النفسية وهو يقف على أبواب الممدوحين، كما في قوله مخاطباً الملك الكامل[٢٥]:

فَصُنْ بقايا ماءِ وجهي فلقدْ أرقتُ منه بالسُّؤال ما كفى

ويبدو هذا الصراع أكثر وضوحاً عندما يقترن بافتخار الشاعر بنفسه، وحديثه عن وحدته، وغربته، وقسوة الدّهر عليه[٢٦]:

متى قرّبَ الدهرُ لي واحداً رماني الزّمانُ بسهم البعادِ
وذلك أنّي أهولُ الزمانَ بمجدي فما يأتلي في عنادي
علمتُ به واغْتدى جاهلاً لِطارف مكرمتي والتلادِ
فأفردني يبتغي شقوتي وإن نعيميَ في الانفرادِ
أنيسي كتابي في وحدتي وعزمٌ وعضبٌ طويل النّجادِ

لذلك حث الشاعر نفسه على التجمل بالصبر أملاً في انجلاء عتمة الليل[٢٧]:

تصبَّرْ إن عُقبى البؤس نُعمى فأحوال الليالي تستحيلُ
فما يجلو ظلام الهمّ إلا ضياء العزم والرأي الأصيل

وإذا بحثنا في شعر ابن عقيل عن تَصوُّر فلسفةٍ في الحياة أو نظرة شمولية لها فإننا لا نظفر إلا بأبيات حكمية، مستمدة من التجربة تصور نظرة غير راضية عن الحياة والأحياء، على شاكلة قوله[٢٨]:

والدّهر إن وهب استردَّ وإن شفى أودى وإنْ صان الوجوه أدالا

لا النـاسُ تصـدقُهم ولا الطمـعُ الـذي جُبلـوا عليـه يُـنَجِّحُ الآمـالا
والحـرّ يهدمـه المـلامُ كمثلمـا بـاللوْم يـزداد اللئـيمُ ضـلالا

وهذه النظرة غير الرّاضية قد تستحيل في سياق آخر دعوة إلى اهتبال الفرص للاستمتاع بملاذّ الحياة، والاستغراق في اللهو لتناسي الهموم(٢٩):

فاشـربْ وجفـنُ الحادثـاتِ نـائمٌ والعـيشُ غَـضٌّ والزّمـانُ غـرُّ
وَصَـرِّفِ الهـمَّ بصِـرفٍ شُـرْبُها بـه يلـذّ العـيشُ وَهْـوَ مُـرُّ

ديوانه:

لابن عقيل الزُّرعيّ ديوان كتبه بخطّ يده، ولكن هذا الديوان لم يصل إلينا كاملاً، وإنما وصلنا مختار منه يقع في تسع وتسعين ورقة. وقد اختاره لنفسه محمد بن محمد بن شرف الزّرعيّ سنة ٧٤٨هـ، وذكر أنه حذف من الديوان الأصلي نحو ألف وخمسمئة بيت. ويوجد من هذا المختار نسخة خطية واحدة محفوظة في (طوبقبوسراي) بتركيا(٣٠)، وعن هذه النسخة يوجد شريط مصور في معهد المخطوطات العربية بالقاهرة.

ويضم المختار من ديوان ابن عقيل الزرعي ثلاثاً وتسعين قصيدة ومقطوعة، غير أن الذي اختار الديوان لم يورد القصائد كلها كاملة وإنما كان يجتزىء من بعضها ما يناسب ذوقه، ومع ذلك فإن هذه القصائد المختارة تدل على المجالات الكبرى لشعر ابن عقيل وتصور سماته الفنية وسأدرس هذه القصائد ضمن إطارين كبيرين هما:

- الأغراض الشعرية.
- السمات الفنية.

أولاً: الأغراض الشعرية:

١- **المدح:** استغرق المدح قدراً كبيراً من الجهود الفنية لابن عقيل الزرعي. وقد سبق أن أشرنا إلى أن شاعرنا هذا قد لازم حضرة الملك المعظم عيسى وأن له فيه مدائح كثيرة، غير أن ذلك لم يكن ليمنعه من مدح آخرين. وبعد مراجعة المختار من ديوانه تبين أن عدد القصائد التي قالها في الملك المعظم تسع عشرة قصيدة، وكانت بقية مدائحه موزعة على عدد آخر من حكام العصر معظمهم من ملوك بني أيوب، مثل الملك العادل والملك الكامل والملك الأمجد بهرام شاه والملك العزيز عثمان. وبالإضافة إلى هؤلاء مدح ابن عقيل الخليفة العباسي بقصيدة أرسلها إليه سنة ٦١٢هـ، كما مدح عدداً من الوزراء والعمال وزعماء القبائل في مصر والشام.

وقصيدة المدح عند ابن عقيل تترسم خطا قصيدة المدح العربية بتقاليدها المعروفة ولا تكاد تحيد عنها. وكأن الشاعر كان يضع أمام عينيه نموذجاً لمثلٍ أعلى ويورد لممدوحة من الصفات ما يخيل به للسامعين أنه كذلك، آخذاً بعين الاعتبار أمرين اثنين: أن يوائم بين الممدوح والصفات التي تخلع عليه، وأن يبرز صفة أو صفات مميزة في ممدوح دون آخر، فهذا شجاع. وذاك كريم، وذاك عادل... وقد تجمع هذه الصفات في سياق واحدٍ معاً مع تحدٍ للواقع. ولا كتفِ بعرض نموذج واحدٍ على هذا النهج التقليدي في المدح، وليكن هذا النموذج قصيدة في الملك الكامل، ومطلعها[٣١]:

إن سُلَّ سيفُ الهجر من غمد الجَفا فاذرع الصَّبْر الجميل والوفا

تغزل الشاعر فيها بخمسة وعشرين بيتاً، ثم تخلص إلى المدح بثلاثة أبيات، ثم جاء المدح في (٦٧) بيتاً. وقد شكا الشاعر في أبياته الغزلية من صدود حبيبه عنه، وهجره له، وحث نفسه على التجمل بالصبر. ثم يخلص من هذه الشكوى إلى وصف جمال هذا الحبيب، فيطيل في ذلك. ولم أتبين الغاية التي كان يرمي إليها الشاعر من هذا الغزل، ولا الأجواء النفسية التي أراد أن ينشرها وأغلب الظن أن لا غاية للشاعر إلا إظهار البراعة في وصف المحاسن، لذلك نجده يستطرد ويتفنن

في هذا الوصف، كما في قوله:

أقـــام مـــن أصـــداغه عقاربـــاً تحرسُـــه مـــن لحظنـــا أن تُقطفـــا
مـــا أنكـــرتْ أجفانُـــه سَـــفْكَ دَمـــي إلا أتـــــاني حـــــدُّه معترفـــــا
خـــدٌّ بـــه جـــرٌ مـــن الحُسْـــنِ طفـــا مـــن فوقـــه مـــاءُ الحيـــا ومـــا انطفـــا
كـــأنّ فـــي فيـــه لـــدى ابتســـامه برقـــاً أضـــاءَ أو جُمانـــاً أُلِّفـــا
يصـــلى بنيـــران الصُّـــدودِ مَـــنْ ثـــوى عليـــه فـــي ديـــن الهـــوى مُعتكِفـــا

وعلى الرّغم من هذه النيران فإن الشاعر سيظل مقيماً على هذا الحب ولن يطلب من دونه منقلباً، تماماً كما سيظل مقيماً في حضرة الملك الكامل ولن يبغي من دونه مصرفاً. وهنا يتخلص الشاعر من الغزل إلى المدح تخلصاً جميلاً، ويغدو في مواجهة ممدوحه، ويأخذ في الثناء عليه، فيختار له من الصفات ما يليق بالملوك، فينوه بعدله، وشدة بأسه، وذكاء قلبه، وقوة دولته، وكرمه الذي لا تداخله منّة ولا يفسده أذى:

ليـثٌ مـن اسْـتَكفاه فـي خطـبٍ كفـى غيـــثٌ إذا شـــيمَ لجـــدبٍ وكفَـــى
وِرْد النّـــدى مـــن راحتيـــه بالجـــدى مـــن كَـــدَر المنّـــة والمطـــل صـــفا
أظهـــر آيـــاتِ ســـماحٍ أرّخَـــتْ بمُعْجـــز المعـــروف منهـــا صُـــحفا

ويجنح ابن عقيل إلى المبالغة في تقريظه للملك الكامل، وهي مبالغة مَرَدُّها محاولة الشاعر أن يأتي بالجديد، كما في قوله:

تكـــادُ مـــن سَـــطْوته الأنجـــمُ أن تَسْـــ ـــــقط والأرضـــــون أن ترتجفـــــا
لـــو أمـــر النهـــارَ والليـــل بـــأنْ يتَّفقـــا طـــولَ المـــدى مـــا اختلفـــا
والبحـــر يومـــاً لـــم يَمُـــجْ والنّـــار لـــمْ تحـــرق أو الـــرّيحَ أبـــت أن تعصـــفا

وحين يتحدّث الشاعر عن زيادة النيل وحضور السلطان بالمقياس تستدعي كلمة (النّيل) الحديث عن نيل الممدوح وكرمه، فيقول:

نَيْلُـــك يســـتعلي علـــى النيـــل إذا ما النّيـل فـي المـدِّ تنـاهى وطفـا

والأمر الذي يستوقف القارىء في هذه القصيدة حديث الشاعر عن (حُسْن) الممدوح، وربطه بـ (يوسف) عليه السلام، ولا سيما أن هذا الربط مما شاع في الغزل بالمذكر آنذاك. ولعل هذا يشير إلى تبدل في بعض المثل والقيم.

وإذا أعدنا النظر في القصيدة فإننا نلاحظ أن الشاعر لم يأت فيها بشيء جديد فيما يتعلق ببنائها ومضمونها؛ فالنسيب الذي جاء في مقدمتها تقليدي، والصفات التي خلعها الشاعر على ممدوحه كانت في مجملها مما اعتاد الشعراء ذكره. غير أنه لا بد أن نقرر أن النفس الشعري الذي كان يبثه ابن عقيل في قصيدة مدحية قد يختلف – أحياناً – عنه في قصيدة أخرى، ومن ثم فإن بعض مدائح ابن عقيل وإن تشبث بالشكل التقليدي فإن الشاعر كان يتصرف بأدوات هذا الشكل بحيث ينأى به عن التقليد الذي يلغي شخصيته الفنية من ناحية، ويقطع القصيدة عن مناسبتها من ناحية ثانية. وسأضرب مثلاً واحداً أوضح به ذلك، وهو قصيدته التي قالها يمدح أحد زعماء القبائل العربية في (قوص) ويودعه سنة ٦٠٨هـ، ومطلعها[٣٢]:

ارْبَـعْ وسَـلْ عـن آل سـلمى المربعـا واجـزع فحـقَّ لـذي الهـوى أن يجزعـا

وقد تغزل ابن عقيل في مقدمة قصيدته بفتاة بدوية من بني عامر، ومما قاله فيها:

أو بَعْـــدَ بُعْـــد العامريّـــة تبتغـــي صَـــبْراً وتـــذخرُ للنوائـــب أدمعـــا
كـــلا وقلبـــك يـــوم ودّع أهلهـــا للجسـم مـن شـغفٍ عليهـا ودَّعـا

ابن عقيل يمدح زعم قبيلة عربية، وهو يودع هذا الممدوح، ومن ثم أشاع في مقدمة قصيدته أجواء بدوية، فذكر سلمى وربعها، والعامرية ورحلها، وصور جزعه لفراقها، وحزنه لابتعادها. ولعل الشاعر أراد أن يبسط أمام هذا الممدوح الذي يسكن

البادية أجواء ألفها. كما أن المعاني التي وردت في هذا الغزل (وهي تدور حول الوداع والرحيل والبعد) تنسجم ومناسبة القصيدة، وكأن ابن عقيل يشير بذلك إلى فراقه لممدوحه، وتوديعه له، وما يستثيره ذلك في قلبه من مواجد وأشواق.

وقد واءم ابن عقيل بين الممدوح والصفات التي خلعها عليه مواءمة دقيقة، فمدحه باعتباره زعيم قبيلة، إذ قرنه بالمثل الأعلى للكرم عند الإنسان العربي (حاتم)، وأثنى على الدور الذي نهض به في تأثيل أمجاد قبيلته ومفاخرها، وشكر له ولقبيلته حسن الضيافة وكرم الوفادة:

أثّلت مجدَ بني الفضيل ومجدُهم يعلو على النجم المحلّ الأرفعا
طالت بمجدهم قضاعة واغتدى روض المناقب في بَلِيٍّ مُمْرِعا
جاورتهم زمن المصيف فلم تزلْ في نعمةٍ حتى قضيت المربعا

أما خاتمة القصيدة فهي شكوى من الأيام التي قضت بالرحيل وحكمت بالفراق، وعهد من الشاعر أن يظل وفياً لممدوحه، ذاكراً له، دائم الثناء عليه:

إن ترضني الأيّام باللقيا فقد أغْضَبْنَني لمَا أتيتُ مودِّعاً
أشكو إلى اللهِ التباعد عنك من بعد الدنو لعلّها أن تنفعا
والله لا زال المديح مؤبّداً منّي، ولا كان الجميلُ مضيّعا

ولم يُضف ابن عقيل في هذه القصيدة إلى طبيعة الموضوع الشعري أي جديد، ولكن الجديد هو تصرف الشاعر بأدوات المدح على نحو كفل له الإجادة، فقد بعث في القصيدة لوناً من الشعور ينبثق من مناسبتها، وقد لون هذا الشعور مقدمة القصيدة وموضوعها وخاتمتها.

وترتبط قصيدة المدح عند ابن عقيل الزرعي – كغيره من شعراء عصره – بأحداث الصراع بين المسلمين والفرنجة، ومن ثم فإن بعض هذه القصائد يتنفس في جو ديني، ولا سيما حين يستعير الشاعر الألفاظ المتعلقة بعقيدة الطرفين

المتصارعين، كما في قوله من قصيدة يذكر هزيمة الإفرنج في دمياط سنة ٦١٦هـ[٣٣]:

نكّسْتَ صُلباً لهم من بَعْد ما رُفعتْ ... إنّ الصليب بحمد الله مكسورُ
وقابل الإفك والتثليث إذ كفروا ... لديك للحقّ تهليلٌ وتكبيرُ
وما تلا النّصر من آياتهِ سوراً ... إلا وذلّتْ لديهنّ النَّصاويرُ

وتغدو المعاني الدينيّة أكثر وضوحاً حين يستجيش الشاعر المشاعر الإسلامية، ويحث على الوحدة لمواجهة الخطر الداهم، كما في قوله مخاطباً الملك الأشرف شاه أرمن، ويستعجله أن يرسل جيوشه إلى أخيه في مصر[٣٤].

ناداك عيسى فاستجب لدعائهِ ... أسْعِفْه أنتَ اليومَ أفضلُ مُسْعِفِ
فلو انَّك الدّاعيه لبَّى مُسرعاً ... بالمشرفيّة والرّماحِ الرُّعَّفِ
دمياط ومصر، ومصرُ أرمينيّةٌ ... والخصمُ أنْت، وقد حكمت فأنصفِ
كم مسجدٍ بالثغرِ أضحى بيعة ... يُتلى بها الإنجيلُ بَعدَ المصحفِ
ومنابر أضحتْ صوامع مشركٍ ... بالله بعدَ مؤذّنٍ متحنّفِ
رفعوا بها القدّاس بعد تلاوةٍ ... وتبدّلت بعد الخطيب بأسقفِ

ويضفي ابن عقيل على قصائده غلالة من الفرح والاستبشار حين ينظر من خلال عزيمة ممدوحه وانتصاراته إلى المستقبل بثقة وأمل، فيرى أن فتح البلاد التي يسيطر عليها الغزاة بات وشيكاً، كما في قوله يخاطب الملك المعظم[٣٥].

فَلْتَفْتحنْ صوراً وعكة عنوةً ... ولتهزمنّ الكفرَ وهو رعالُ
ولينظررنّ بلاداً أنطاكيّةٍ ... ولهُ على أطلالها أطلالُ
وليحكمنّ السيفُ في فرسانها ... حكماً به المغبونُ ليس يُقالُ
فانهض لتفتتح البلاد بعزمةٍ ... حذاءَ ليس تهولها الأهوالُ

٢- **الغزل:** لم يُفرد ابن عقيل الزرعي فيما وصل إلينا من شعره قصيدة

خالصة للغزل، وكل غزلياته التي بين أيدينا جاءت في مقدمات قصائده. وهذا الغزل ليس نسيباً بامرأة معينة، وإنما هو أشواق مبهمة وحنين إلى الجمال العربي، ونفحات وجدانية تقترب من غزل العذريين، كما في الأبيات التالية التي يركز فيها على الحنين بذكر نجد[٣٦]:

أعِدْ ذِكْرَ نَجْدٍ والمقيمين في نَجْدِ ... فلولا هوى نجْدٍ صَحَوْتُ من الوَجْدِ
فإنّ صبا نجدٍ يهيجُ صَبابتي ... إذا هاج ريّاها عن البان والرُّندِ
وليس حنيني للدّيار وإنما ... حنيني إلى عيش مضى لي بها رَغْدِ
سقى اللهُ أيامَ الصّبا وعهودها ... ومعهدَ هندٍ باللوى صيّبُ العَهْدِ

ويحاكي ابن عقيل في هذا الغزل طريقة العرب الأوائل محتذياً نهج الدّيلميّ والشّريف الرّضيّ، فتحسّ أنّ نفسه ترفّ بوجدٍ غائمٍ على شاكلة هذا الوجد الّذي تسري فيه روحٌ بدويّة:[٣٧]

شجاهُ في الأيْك الحمامُ إذْ شدا ... فأَتهمَ الشَّوْقُ به إذْ أنْجَدا
أذكرني حيّاً وأيّام اللّوى ... والدّهر لمْ يمدُدْ إلى البين يدا
أيّام لا أُصغي إلى معنّفٍ ... ولا أُطيع في الهوى مفنّدا
أذهلني البينُ الّذي ولّهني ... فأوهن القلبَ وأوهى الجَسَدا

وحتى يحقق ابن عقيل لشعره ما يريد من سمات بدوية فإنه يعمد إلى وصف ظعائن المحبوبة، وتصوير مشاهد ارتحالها، معبراً عما يمور في صدره من عواطف ومشاعر، وما يشتعل في قلبه من أحزان ومواجد[٣٨]، كما يقف على ديار المحبوبة بعد رحيلها، فيصف ما فعلته بها الأيام، ويعرض لآثارها الباقية دون تفصيل، مسترجعاً ذكرياته الجميلة فيها، وما تستثيره هذه الذكريات في نفسه من أشجان، كما في قوله[٣٩]:

عرف الغرامَ وأنكر الأطلالا ... إذْ لمْ تُجب عند الخطاب سؤالا
لمَّا توسَّم من سميّة معهداً ... عَفَت العهادُ محلَّه أحوالا

لعبت به أيدي الخطوب وناوَحَتْ فيه الصَّبا عند الهبوب شمالا
جرَّتْ عليه ذيولها ولطالما جرَّت به البيضُ الدُّمى أذيالا
فتوحّشت بعد الأنيس عراصُه والدّهر يعقب بعد حال حالا
كانت محلاً للأحبة قبل ما يُقصي التفرُّقُ أهلَها الحُلاّلا

وإذا ما تمعنا غزل ابن عقيل وجدنا أنه يطيل الحديث فيه عن البعد، والهجر، والفراق، والرّحيل، إلى غير ذلك من المعاني التي تتصل بتغير الأحوال وتبدل الأحبة. ولعل ذلك بتأثير من نزوح الشاعر عن وطنه، وتبدل قومه عليه؛ لذا فإن هذا الغزل يقترن بالحنين والاشتياق والشكوى والدعوى إلى التجمل بالصبر على تقلبات الدهر(٤٠):

لولا التعلّل أنّ الشَّمل يجتمع لكاد قلبي لوشك البين ينْصَدعُ
وكيف يطمع قلبي بالبقاءِ وفي حُكْم الوفا ماله في سلوةٍ طمعُ
جزعتُ للبُعْد يَوْمَ البين بَعْدكمُ وآفةُ العاشقين البينُ والجَزَعُ
أنكى فؤادي هوىً أبكى الجفون دماً وشاب للهجر فودي والهوى يفعُ
كيف الخلاصُ لصبٍّ من صبابته أنصاره الشّوق والبلوى له شِيَعُ
طيف الكرى خُلسٌ في مقلتيه كما سروره مذْ نأى أحبابُه لُمَعُ
ما زال يسفح ذكرُ السَّفح عَبْرتَه ويعتريه لذكرى جَزعِهِ الجَزَعُ
خفّضْ همومك لا المحتوم منصرفٌ إذا حذرتَ ولا ماتَ يرتجعُ

وإذا ما انتقل الشاعر للحديث عن جمال المرأة فإن المحاسن التي تغنى بها لا تخرج عن المقاييس الجمالية التي ذكرها الشعراء السَّابقون، إذْ نراه يترسّم خطاهم، ويحاكي أطُرَهم التي رسموا من خلالها جمال المرأة ومحاسنها، كما في قوله متغزلاً بإحدى الحسان واصفاً امتلاء ردفيها، وحسن شفتيها، وتأود قامتها، وفتك نظراتها، وإشراق وجهها، وسواد شعرها، واتساق أسنانها، وعذوبة ريقها(٤١):

وبمهجتي ريّا الرّوادف طفلة لعساء لمياء المراشف رودُ

سمراءُ كالسّمراءِ، في أجفانها بيضٌ صياقلها العيون السُّودُ
صنمٌ من الحُسن البديع جمالُه في دين متّبع الهوى معبودُ
فمن الغزالة حُسْنُها وضياؤها ومن الغزال ذفارُهُ والجيدُ
فالوجه صُبْحٌ والذّوائبُ غيهبٌ والثّغر درٌّ، والرضابُ بَرودُ

ولا تكاد الصّور التالية التي رسمها ابن عقيل لإحدى الجميلات تختلف عن الصور التي رسمها في الأبيات السابقة إلا في طريقة التعبير[٤٢]:

إنْ أسفرتْ حكت الغزالة بهجةً أو أتلعت مثلت لديك غزالا
وإذا رنت بعثت إليك لحاظها عن قوس حاجبها الأزجّ نبالا
تاهتْ على مُلْد الغصونِ بقدّها هَيَفاً، وأخجلت البدورَ كمالا

وثمة نمط آخر من الغزل في شعر ابن عقيل الزرعي هو الغزل بالمذكر وأغلب الظن أن هذا الغزل جاء مجاراة لذوق العصر الذي كثر فيه التغزل بالولدان الأتراك، ولعل ذلك يدل على تبدل في الذوق الجمالي في بلاد الشام في تلك الفترة. ومع ذلك فإن الصفات الجمالية التي أوردها ابن عقيل وهو يتغنى بالجمال المذكر لا تكاد تخرج عما هو مألوف في التغزل بالمرأة، كما في الأبيات التالية التي يصف فيها أحد الغلمان الأتراك، مصوراً رقة جسمه، وحمرة خده، ولين قامته، وحسن وجهه؛ فجمع بذلك كله آياتِ الجمال المعجزة[٤٣]:

وأسْمَر من بني الأتراك قد تركت صفاتُه عاشقيه في الورى سمرا
أطعنتُه فعصى، لاطفتُه فجفا أدنيتُه فنأى، واصلتُه هجَرا
يكادُ من رقةٍ بالفكر تجرحُه وبالعيون ترى في جسمه أثرا
اللّهُ أظهرَ آياتِ الجمال به ومعجزُ الحُسْن لا يَخفى إذا ظهرَا

فالمـــاء والنّـــارُ فـــي خدّيـــه قـــد جُمعـــا كثغـــره جمـــع اليـــاقوت والـــدّررا
إذا تثنـــــى أرانـــــي قـــــدُّه غُصُـــــناً وإن تجلَّـــى أرانـــي وجهُـــه قمَـــرا

ولعلّ الأمر الطريف في غزل ابن عقيل بالمذكر أنه كان يشحنه بالدّموع والذلّة، مضفياً عليه مسحة عذريةً في التعبير والتصوير، كما في الأبيات التالية التي حاكى فيها أساليب العذريين، واستعار تعابيرهم وصورهم شاكياً هجر الحبيب، مصوراً تذلله له، ومعاناته من صدّه، وإخلاصه في حبّه، واصفاً نفسه بأنه "العاشق العذري" و "أنه بعث نبياً للمحبة"(٤٤):

إلامَ أعنَّـــى فـــي الهـــوى وأعنّـــفُ وحتَّـــامَ يجفـــو لـــي الحبيـــب وأعطـــفُ
وأخفـــي الأســـى والـــدّمع يبـــدي خفيَّـــه وأنكـــره والسّـــقم عنـــه يعـــرِّفُ
ولا ذنْـــب لـــي فـــي الحـــبّ إلا تـــذلّلي لعـــزَّةِ محبـــوبٍ يجـــورُ وأنصـــفُ
عـدمتُ اصـطباري فـي هـواه فلـم أجـد سوى الوجدِ عوناً لي على الحب يُسعفُ
أنـــا العاشـــق العـــذريّ عهـــداً وشـــيمةً وغيـــريَ دعـــوى العشـــق عنـــه تكلّـــفُ
بُعثـــــتُ نبيّـــــاً للمحبّـــــةِ داعيـــــاً إلـى الحـبّ عَنْهـا مـن يصـدّ ويصـدفُ
فمعجـــز آيـــاتي خضـــوعي وذلّتـــي وصـــبري وأنصـــاري الأســـى والتأسّـــفُ
يُتيّمنـــي والغـــيُّ رشـــدٌ لـــذي الهـــوى عِـــذارٌ موشـــىً، لا بنـــانٌ مطـــرَّفُ

٣- الرّثاء:

يبدو أن (الموت) لم يكن من الموضوعات الأثيرة لدى ابن عقيل الزرعي، فلم يرد في المختار من ديوانه إلا قصيدتان من شعر الرّثاء؛ الأولى قالها في رثاء والده، والثانية قالها في رثاء بلاد حوران بعد أن اجتاحها الفرنجة سنة ٦١٤هـ. أما القصيدة الأولى فقد استهلها باستشعار روح الحكمة المستمدة من الموت، والتسليم لحكم الله وقضائه النافذ(٤٥):

إن المنـــــونَ قضـــــاؤها محتـــــومُ والمـــوتُ فيمـــا يقتضـــيه زعـــيمُ

واللّـــهُ يحكـــمُ بالفنـــاءِ لخَلْقِـــه فَلـــهُ البقـــا ولحكمِـــه التَّســـليمُ
نهـبَ القَضـا أعمارنـا بصـروفه الـ ـــمُسْتَيْقظاتِ ودأبُنـــا التّهـــويمُ

وتغمر الشاعر روح تشاؤمية وهو ينظر إلى ظواهر الحياة التي تخضع لقانون التحول والتغير، فيرى أن كل ظاهرة تحمل في حقيقتها ضدها ونقيضها:

فالشّـــهدُ ســـمٌّ، والـــدنوُّ تباعـــدٌ والوصْـل هَجْـرٌ، والنّسـيم سـمومُ
فســـحابها بالنائبـــاتِ ســـجومُ وعقابهـــا بالقارعـــات تحـــومُ
ولـــدتْ لتَقْتُـــل ولـــدَها بعقوقهـــا يـــا ليتهـــا قبـــل الـــولادِ عقـــيمُ

ويصور الشاعر فجيعته بأبيه، غير أن هذا التصوير لا ينقل لنا لوعة الفقد وعمق التأثر بفراق الأب. ويبدو أن استعجال الشاعر الحديث عن رضى والده عنه، ووفادته عليه وهو في مصر، ووفاته في أثناء تلك الوفادة قد صرفه عن استخراج مكامن الحزن الخفية، وجعله يستطرد في الحديث عن العلاقة بينه وبين أبيه:

للّـــه رزئـــى فـــي عقيـــلٍ إنَّـــه رزءٌ جليـلٌ مـا علمـتُ عظـيمُ
وافيـــتَ مصـــر مهـــاجراً لزيـــارتي إنْ أخلفـت زمـنَ الجـدوبِ غيـومُ
ورضـيتَ عنـي بعـد سـخطك واصـلاً منّـــي عقوقـــاً شـــمْله مصـــرومُ
وصـفحت عـن ذنبـي وإجرامـي الـذي أسـديتُ، إذ أنـا فـي الظـلام أهـيمُ
وقضـــيتَ نحبـــك صـــائماً متشـــهّداً لتنـــال أجْـــر اللّـــه، وهـــو عظـــيم

ويذيّل الشاعر قصيدته بأبيات يسلّي فيها نفسه، فيقف في مواجهة الموت مفتخراً بأنه ابن لهذا الأب، وفرع له، واستمرار لوجوده:

أنـــا بَـــدرُ ذاك الـــنّجم عنـــد أفولـــه أنـــا شـــبل ذاك الضـــيغم اللهمـــيمُ
أنـــا فَـــرْعُ نبعتـــه التـــي لِنِجَارهـــا فـــي دَوْحـــةِ المجْـد الأثيـل صـميمُ

وأما القصيدة الثانية التي قالها ابن عقيل في الرّثاء، فهي كما سبق أن ذكرنا في رثاء بلاد حوران، وأرى أن تُثبت القصيدة كاملة لقيمتها التاريخية والفنية. فهي من الناحية التاريخية تتحدث عن اجتياح صليبي شامل امتد من بلاد حوران إلى أقصى جنوب بلاد الشام، وهو اجتياح لم تتحدث عنه المصادر على النحو الذي صوره ابن عقيل في القصيدة[٤٣]. وهي –أي القصيدة– من الناحية الفنية تعد إضافة جديدة إلى شعر الرّثاء البلداني الذي قيل في فترة الحروف الصليبية، إذْ إنّ ما وصل إلينا من هذا الشعر كان قليلاً إذا ما قورن بالنكبات الكبرى التي منيت بها البلاد الإسلامية[٤٤]. والقصيدة تجري على النحو التالي[٤٥]:

جَارَ الزّمان على سكّان حَوْرانا ... لا كانَ دهرٌ قَضى بالجَوْرِ لا كانا
أخْنَى وخَانَ وَقَدْ كان الوفيَّ لهمْ ... لا غَرْوَ للدّهر إن أخْنَى وإن خَانا
صَاحَ الجَلاءُ بهمْ صَوْتاً فما لبثُوا ... أنْ جَاوَبُوهُ جماعاتٍ[٤٦] ووحدانا
فأصْبَحتْ دِمناً تِلْك الرّبوعُ لهمْ ... وبدّلت بَعْدَهُمْ بوماً وغِرْبانا
ظنَنْتُ أنَّ قُراهُمْ بَعْدَما دَرَسَتْ ... أطلالُ ميٍّ وأنّي كنْتُ غَيْلانا
ذهلْتُ من أسَفٍ حين استقلّ بهمْ ... حادي العَبور كأنّي كنْتُ سكرانا
واخجلتي بَعْدهمْ إن لمْ أمُتْ كمَداً ... مُذْ أزمعوا للنّوى رجلاً ورُكبانا
تفرَّقوا بالفلا أيْديْ سباً فَثَوى ... نَجْعٌ بِمِصْرَ ونجْجٌ حَلَّ حَرَّانا
وما اسْتَقَلُّوا إلى أنْ قَلَّ صَبْرُهمُ ... وكابدوا المَحْلَ في الأوطانِ أحيانا
إنّ الكريمَ إذا ما خاف في وطن ... ضَيْماً تبدَّلَ بالأوطانِ أوْطانا
كانُوا يجيرونَ من جَوْرِ الزّمان فَقَدْ ... أضْحَوْا مِنَ الجَوْرِ في الأمصارِ جيرانا
ليْسَ الهوادجُ أحداجاً على إبل ... تِلْك الجِنانُ حَوَتْ حُوراً وَوِلْدَانَا
الطالعاتُ بدوراً إنْ سَفَرْنَ لنَا ... والمَايِساتُ إذا أقْبلْنَ أغصَانَا
كأنَّ أظعانَهمْ والآلُ يَرْفعُها ... سفائنٌ أُشْرعَتْ أو نخلُ بَيْسانا
قالوا الغرابُ دعا في الحيّ فاحتملوا ... وما رأيتُ سوى الأحمال غربانا

لا تَنْدُبِ الدّارَ إنْ أقْوَتْ ولا طلَلاً ... ولا أواريّ "أفراسٍ"[٤٧] وأشطانا
وخَلِّ ميَّةَ والخلصاءَ يندبُها ... غيلانُها وَذَر "سعدى"[٤٨] وحَسّانا
وَخلِّ رامةَ يبكيها جريرُ وَدَعْ ... نُصَيْبَ يندبُ حيّاً حلّ ودّانَا
دَع المعاهدَ فالأعرابُ أجدَرُ أنْ ... تبكي النّقا ورُبى نجْدٍ ونَعْمانَا
واندُبْ قصورَ قُرى حَورانَ حين خَلَت ... وعُوّضَتْ بَعْد سُكْنى الإنس جِنّانا
خَوَتْ عروشٌ بها كانَتْ مرفّعةً ... مجداً، وجفّت غروسٌ كنّ صنْوانا
شَلَّ الزّمانُ يَد المعروفِ بَعْدَهمُ ... وهدَّ مِنْ جبل العلياءِ أرْكانا
كمْ بيْنَ بُصرى إلى الرّمثا إلى طفسٍ ... من الخراب إلى ما حَوْل نجْرانا(٤٩)
ولستُ أنسى حِبالاً والسَّراة وما ... أصابَ مابَ إلى ما حَوْل عَمّانا(٥٠)
وبَعْدَ هذا أتى ما لا مردَّ له ... من الفِرنج إلى غَوْريّ بيسانا
أسْراً وقَتْلاً ونَهْباً حين أذْكرهُ ... يَهيجُ تَذكارُه للقَلْبِ أحْزَانا
كمْ قَرْيةٍ كان في أكنافها نَفَرٌ ... يمشونَ نَحْوَ العُلى شيباً وشُبّانا
شُمَّ الأنوفِ سراةً سادةً نُجُبا ... في السِّلم والحَرْبِ أجواداً وشُجْعانا
من كلِّ أبلجَ وضّاح الجبين إذا ... بَلَوْتَهُ كانَ مِطعاماً ومِطعانا
يقول مَنْ ماتَ منّا كان أسْعَدنا ... وكلَ مَنْ عاش منّا كان أشقانا
ما ذاتُ طوْقٍ على أيكِ الحمى صَدَحَت ... تُرجِّعُ النّوْحَ في الأفنانِ ألحَانا
أقْصَى الزّمانُ لها إلفاً فَهاج لَها ... فراقُه والنَّوى همّاً وأشجانا
كلا ولا مُغْزِلٍ يَرْعى لها رشأٌ ... بِبَطْنِ وَجْرَةَ رَخْصَ الظّلف أدْمانا
لَها كِنَاسٌ من الأرْطى على نَشَزٍ ... في رَوْضةٍ أنبتَتْ رَنداً وحَوْذانا
أناخَ صرفُ المنايا فيه إذ غفلت ... سمعماً أهْرَت الشَدقين غرثانا
فاغتالهُ وقضاء اللّه ليْس لهُ ... ردٌّ، ولا ردَّ للمقضيّ أن حانا
لها بُغامٌ شديدٌ حين تذكره ... إذا رأت عينُها في السّرب غزلانا
يوماً بأوجع منّي إذْ وقفْتُ على ... تلك القرى وتذكّرت الذي كانا
ترى يعود إلى الأوطانِ ساكنُها ... فأنظر الدّارسَ الآياتِ عَمرانا
صَبْراً على الدّهر إنْ أبكى العيون وإن ... أنكى القلوبَ وإن أخنى وإن خانا

لا بُـدّ فـي الـدّهر مـن عسـر وميسـرةٍ وأن تـــرى فيهمـــا سُـــوءاً وإحســـانا

والقصيدة، كما هو واضح، تعبير عن الحزن الذاتي لابن عقيل على ما حل بأهل حوران وغيرهم. وقد نوع الشاعر في أدواته الفنية للتعبير عن هذا الحزن؛ فهو في مستهل القصيدة ينحو منحى التعبير المباشر في تصوير انقلاب الزمن وظلمه لسكان تلك الدّيار. ولم يكد الشاعر ينتهي من ذلك حتى ذهب يصور ما أصاب قرى حوران من خراب ودمار، معبراً عن ذهوله لمشاهد القوم وهم يغادرون ربوعهم، ويجلون عن ديارهم:

صـاحَ الجـلاءُ بهـم صـوتاً فمـا لبثـوا أن جـــاوبوه جماعـــاتٍ ووحـــدانا
فأصْـبَحتْ دمنـاً تلـك الرّبـوع لهـمْ وبـــدّلت بعـــدهم بومـــاً وغِرْبانـــا
ذهلـتُ مـن أسـفٍ حـين اسـتقلّ بهـمْ حـــادي العَبـــور كـــأنّي كنـــتُ ســـكرانا
تفرّقـــوا بـــالفلا أيـــدي ســـباً فثـــوى نجـــعٌ بمصـــرَ، ونجـــعٌ حـــلّ حرَّانـــا

ويمضـي الشـاعر فـي قصـيدته فيصـور معانـاة المسـلمين فـي الـديار، ومكابدتهم العدو والقحط معاً مما دفعهم إلى النزوح عن ديارهم، وهنا يجد ابن عقيل الفرصة مواتية لوصف مشاهد الارتحال، وظعائن النساء المسلمات:

لـيس الهـوادج أحـداجاً علـى إبـلٍ تلـك الجنـانُ حَـوَتْ حـوراً وَوِلـدانا
الطالعـــاتُ بـــدوراً إن ســـفرن لنـــا والمايســـات إذا أقـــبلن أغصـــانا
كـــأنّ أظعـــانهم والآلُ يرفعهـــا ســـفائنٌ أُشـــرعت أو نخـــل بيســـانا

والمـتمعن فـي الأبيـات السـابقة يجـد أن الشـاعر قـد أخـل بالبنـاء الفنـي للقصـيدة لأنـه اسـتعمل لغـة الغـزل وهـو يتحـدث عـن المراكـب التـي تقـل النسـاء المسلمات اللواتي غادرن ديارهن خوفاً من الأعداء. ولعل ابن عقيل كان يضع أمـام نظـره، وهـو يصـف النسـاء الـراحلات، مشـهد الظعـن فـي القصـيدة العربيـة

القديمة، ويستمد منه معانيه وصوره. بل يمكن القول إن النموذج الشعري لبناء القصيدة العربية كان يوجه ابن عقيل، بوعي أو بغير وعي، وهو يبني مرثيته هذه، ومن ثم فإننا نرى الشاعر يستطرد في معرض تصويره أحزانه إلى ذكر الشعراء الذين شُغلوا بهمومهم الذاتية، فوقفوا على الأطلال وندبوا ديار محبوباتهم، وهو مشغول بهموم (الجماعة) وندب (قصور قرى حوران):

لا تندبِ الدّار إن أقوتْ ولا طللاً ... ولا أوارىّ أفراس وأشطانا
دع المعاهدَ فالأعرابُ أجدرُ أن ... تبكي النقا ورُبى نجدٍ ونَعمانا
واندُبْ قصور قرى حورانَ حين خلت ... وعُوِّضت بَعْد سكنى الإنس جِنّانا

وحين يتحدث ابن عقيل عن المساحة الواسعة التي شملها الاجتياح الصليبي يذكر أسماء العديد من المواضع الشامية في حوران وغيرها بلغة سردية تقريرية، فبدت أبياته لمحاكاتها الواقع وكأنها فقرة من كتاب تاريخ:

كم بين بصرى إلى الرمثا إلى طفس ... من الخرابِ إلى ما حَوْل نَجْرانا
ولست أنْسى حِبالاً والسَّراة وما ... أصاب مابَ إلى ما حَوْل عمّانا
وبعد هذا أتى ما لا مردَّ لهُ ... من الفرنج إلى غوريّ بيسانا
أسراً وقتلاً ونهباً حين أذكره ... يهيج تذكاره للقلبِ أحزانا

وبعد ذلك يأخذ الشاعر في تصوير أحزانه هذه فيقرنها بنوح حمامة أقصى الزّمانُ إلفها، وبغام غزالة افترس وحش رشأها.

وهكذا، فقد كان هم ابن عقيل – وهو يعبر عن أحزانه تصوير الدمار الذي أصاب منطقة حوران وغيرها من البلاد المجاورة لها، وما ترتب على ذلك من هجرات جماعية لسكان تلك الديار. وقد كان من المتوقع أن يصعِّد ابن عقيل نغمة الخطاب، ويحث المسلمين على الجهاد ليوازن بهذا التصعيد حالة الانكسار والهبوط التي استعلنت في فاتحة القصيدة وفي أجزائها الأخرى، ولكنه لم يفعل

وآثر أسلوباً آخر هو تمنّي عودة المهجرين إلى ديارهم، والدعوة إلى التجمل بالصبر على نوائب الأيام:

تـرى يعـودُ إلـى الأوطـانِ سـاكنُها	فـأنظر الـدّارسَ الآيـات عمرانـا
صبراً على الدّهر إنْ أبكى العيون وإن	أنكى القلوبَ وإن أخنى وإنْ خانا

٤- الهجاء:

من الموضوعات التي طرقها ابن عقيل في شعره الهجاء. وجلُّ شعر الهجاء الذي تضمنه المختار من ديوانه كان مما قاله وهو في مصر، ولعل ذلك يشير إلى أن بعض الشعراء المصريين لم يرتاحوا إلى إقامته بينهم. ويبدو أن مساجلات هجائية قد دارت بينه وبين أحد الشعراء النحاة في مصر، فانبرى له الشاعر الزرعي يُسفه عقله وشعره[٥١]:

يـا أديبـاً فـي الـرّأي غيـر حَصـيفِ	وسـخيفاً أتـى بشـعر سـخيفِ
جاءنـا شـعرك الثقيـلُ المعـاني	بـارداً نظمُـه بـوزن خفيـفِ
مـا انتقـدْنا مـا قلـتَ إلا وجَـدْنا	هُ علـى نقـده كثيـر الزّيـوفِ
فلهـذا كلامُـك الفاسـدُ الصّيـ	ـغة ملغـى لعلـةِ التّصـريفِ

وكان من الممكن أن تُفهم الأبيات السابقة على أنها مماحكة شاعر، لولا أبيات أخرى قالها ابن عقيل في المهجو نفسه اتهمه فيها في غيرته على محارمه، وقذف عرضه، وصور النقائص الخلتمية ممثلة فيه وفي نساءِ بيته[٥٢].

وممن هجاهم ابن عقيل محمد الواسطي، وكان هذا تعرض له، فتصدى له الزرعي بقصيدة أفحش فيها، إذ حشد كثيراً من الصفات المزرية التي تحط من رجولة المهجو، وتطامن من كرامته، مستعملاً ألفاظاً فاحشة، وصوراً فاضحة تصور انحرافه وانحراف زوجه، أجتزئ منها ما يصلح إثباته[٥٣]:

قـالوا الرّقيـع الّراويـةْ	قـد انتحـى هجائِيَـهْ

قلـــــتُ لقـــــد هــــــاج عليْـــــــهِ مـــــن هجـــــائيْ داهيَـــــهْ
الأسْـــــــــــــدُ لا يضـــــــــــرّها نـــــــبْحُ الكــــــــلاب العاويــــــــهْ
كــــــــمْ شــــــاعر نــــــــافَرَنيْ قبلــــــك يــــــا ابــــــن الزّانيــــــهْ
تركـــــــــــــتُ أمَّ رأســــــــــــه عنـــــــــد النّصــــــــال هاويـــــــة

والقصيدة طويلة استعار فيها ابن عقيل كثيراً من الألفاظ والتراكيب القرآنية بعد أن يحرفها عن مواضعها ليضفي سمة الطرافة على هجائه (أعجاز نخل خاوية، قطوفها دانية، نار حامية، عين جارية...). كما تأثر ابن عقيل في هذه القصيدة أبياتاً في الهجاء قالها دعبل الخزاعي[٥٤].

ويتعرّض ابن عقيل لأحد القضاة في قوص، فيهجوه في غير ما مقطوعة هجاءً لاذعاً، فيتناول عرضه وشرفه بعبارات صريحة، ويسخر من خِلْقته، وينزع عنه وعن قومه لباس الشرف والكرامة، وينسب إليهم صفات الخزي والعار، كما في قوله[٥٨]

لأبــــي محمّــــدٍ بــــن كامــــل غايـــــةٌ فــــي اللـــــؤم عنهــــا العــــالمون تتكَّـــبُ
قــــرْدٌ إذا اســــتقبلت صــــورةَ وجهـــــهِ وإذا تــــــولّى فهــــــو ثــــــور أنْصَـــــبُ
مِـــنْ نسْــل قـــوم لا يُنـــالُ نـــوالهم حتّـــــى (....) نســـــاؤهم أو يُثلبـــــوا
بيــــع النّبيــــذ لباســــهم ومعاشُــــهم فيـــــه يحصَّـــــل أكلُهـــــم والمشْـــــربُ
كـــمْ قـــد رأيـــتُ بـــدارهم مقتولـــةً قتلـــــوا وقــــالوا أهلكتهــــا العقــــربُ

ويهجو ابن عقيل خطيب أسوان، فيصور نفور الناس منه، وازورارهم عنه، وعدم رغبتهم في الاستماع إليه، دون أن يفوته –كعادته– أن يذّم أخلاقه ويقرض عرضه، على شاكلة قوله[٥٥]:

إنّ عيســـى خطيــب أســوان أضــحى ضــدَّ عيســى المســيح فــي المعجــزاتِ
ذاكَ بعـد الممــاتِ يُحيــي وهـذا الــ (....) فيــــه يمـــوت بعـــد الحيـــاةِ

قـــدره لا يـــزال فـــي دَرَكٍ والـــ ـــقرنُ منـــه أرفـــع الـــدَّرجاتِ

وجملة القول في هجاء ابن عقيل أنّه هجاء مؤسس على الإفحاش والإقذاع، مما أبعده عن حقيقة هذا الفن الذي يقوم على طائفة من الأصول الفنية.

أغراض أخرى: ومن الأغراض التي طرقها ابن عقيل في شعره وصف مجالس اللهو والشراب. ولعل وفادة هذا الشاعر على بعض الملوك والأمراء ومخالطته لهم قد أتاحت له الإلمام بمجالس اللهو التي كانوا يعقدونها؛ فقد استقضاه الملك الصالح إسماعيل يوم عيد الفطر سنة ٦١٩هـ أبياتاً يصف فيها مجلس اللهو الذي أقامه، وما قُدّم فيه من صنوف المتع[٥٦]. وفي السنة نفسها قال الشاعر أبياتاً وصف فيها الاحتفالات التي أقيمت يوم النوروز، وذكر أنه أخذ فيها بنصيبٍ وافر من اللهو، وأنه قضى ذلك اليوم في أحضان الطبيعة الجميلة مستمتعاً بسماع الأغاني والألحان العذبة، ومستغرقاً في شرب الخمرة المعتقة[٥٧]:

لِلّـــهِ صُـــبْحةُ نـــوروز أخـــذتُ بهـــا أوفـــى نصـــيب ســـرور فـــي نصـــيبينِ
مَـا جنّـةُ الخلـدِ إلا دون مـا اشـتملتْ علـــى الفواكـــه فيهـــا والرّيـــاحينِ
للـــهِ أوتـــارُهن الخـــرس ناطقـــة لنـــا بأحســـن إيقـــاع وتلحـــينِ
وصـلتُ فيهـا غَبـوقي بالصَّـبوحِ علـى شـــدو القيـــان ومزمـــار ابـــن صِـــفّينِ

ويتماجن ابن عقيل حين يصور في أبيات أخرى شغفه بحضور مجالس اللهو وتهالكه عليها، واصفاً ما في تلك المجالس من قصف وعزف[٥٨]:

قســـماً بالكواعـــبِ الأبكـــار وعزيـــفِ القيـــان للســـمّارِ
واغتبـــاق المـــدام والليـــل داج واصـــطباح النـــدمان بالأســـمارِ
واصـطحاب المزمـار والـدّفّ وهنـاً واصـــطخاب العيـــدان والأوتـــارِ
وبـــدور السّـــقاة تعطـــي النـــدامى متـــل زُهـــر النجـــوم شـــمس العقـــارِ
لا أبيـــع الصِّـــبا ولا اللهـــو والغـــ ـــيّ بنســـكٍ وعصـــمةٍ ووقـــارِ

غير أنّ الشاعر في وصفه لمجالس الشراب يقف عند حدود المنظر الخارجي ولا يصور ما تحدثه الخمر في النفس من سورة ونشوة وطرب، ويكتفي بتصويرها وهي تُجلى بالكؤوس، متحدثاً عن قدمها، واهتمام أرباب الديانات بها. وهو في ذلك كله يستعير صور أبي نواس وتعابيره، كما في قوله مخاطباً نديمه أن يسقيه[٥٩]:

يا نديمي أدِرْ على الشِّرب راحاً ... شربها فيه راحة الأسرارِ
جندرياً تجلو ظلام الدّياجي ... حين تُجلى بساطع الأنوارِ
تعتزي نسبةً إلى صيدنايا ... أو صريفين يا له من نجارِ
كُنْهُها لا يُحدّ حِسّاً وحدْساً ... جلَّ من دّقةٍ عن الأفكارِ
عظّمتْها المجوسُ لَّما رأتْها ... وهي ماءٌ كالنّار في الاستعارِ
وهي عند القدّاس بين النَّصارى ... وَزَرٌ مانعٌ من الأوْزارِ
حُرِّمتْ في كتابنا وأُحِلَّتْ ... في كتاب القسوس والأحبارِ

وتبدو الرّوح النواسيّة أكثر وضوحاً في الأبيات التالية التي يستعير فيها بعض الصور والتعابير القرآنية في سياق دعوته إلى الانغماس في اللهو والاستغراق في المتعة، معبّراً عن كلفه بالخمر وولعه باحتسائها، واصفاً صفاءها وكؤوسها وقدمها، مضفياً عليها هالة من القداسة، وهو في ذكل كلّه –كأبي نواس– يفتح باب الرجاء، يأمل بعفو الله ورحمته[٦٠]:

أدِرِ الكأس بكرةً وأصيلا ... وأَطِعْ مَنْ هَوَيْتَ واعْص العذولا
واجْعَل اللهوَ والخلاعة دِيناً ... وتَبتّل إليهما تَبْتِيلا
واتخذ من تُحبّ إنْ كنتَ في دِيـ ... ـن الهوى صادقاً عليك وكيلا
واجْلُ منْها على النّدامى عَرُوساً ... ليس ترْضى إلا الكرام بعولا
في إناءٍ كأنّه جسمُ ماءٍ ... فيه روحٌ تخالها سلسبيلا

نُورهـــا يجعـــل الظَّـــلامَ نهـــاراً نارُهـــا بـــالمزاح تُطفـــي الغَلـــيلا
عاصَـــرَتْ آدمـــاً ونوحـــاً وإبـــرا هـــيم والأنبيـــاءَ جـــيلاً فجـــيلا
اسْـــقِنيها فقـــد رأيـــتُ بعينـــي عنـــد بعـــث الأجســـادِ يومـــاً طـــويلا
أنـــا لـــولا حُسْـــنُ الرّجـــاءِ توقَّعـــ ـــتُ عَـــذاباً يـــومَ المعـــادِ وبـــيلا

وقد تأثر ابن عقيل الزرعي بالشعراء العلماء الذين نظموا قواعد العلوم شعراً، فعمل على محاكاتهم وتقليدهم. فقد تضمن ديوانه قصيدة تبلغ مئة بيت تشتمل على كثير من حوشي اللغة، ويبدو أن هدفه من نظمها كان إبراز معرفته بالغريب من ناحية، وإظهار قدرته على صياغة قواعد العلم شعراً من ناحية ثانية، ومن ثم استهلّها بقوله[٦١]:

أيـــا مَـــن عنـــده الفهـــمُ إذا مـــا ذُكِـــرَ العِلـــمُ
لـــئن بيّنـــتَ مـــا قـــد قلـــ ـــتُ فـــي شـــعري لـــك الحكـــمُ
لـــديّ القَـــوْلُ والفِعـــل وعنـــدي النّثـــرُ والـــنّظمُ
أحـــلّ المشـــكلَ الصّعْـــ ـــبَ إذا مـــا عجـــز الفـــدمُ

ثم يأخذ الشاعر في طرح الأسئلة المنظومة على شخص قد يكون وهمياً، سائلاً إياه أن يشرح الكلمات الصعبة التي ترد فيها.

ثانياً: السّمات الفنية:

١- بناء القصيدة:

تقوم القصيدة العربية في الموروث الشعري على طائفة من التقاليد الفنية، وقد أدت هذه التقاليد إلى تعدد الموضوعات التي كان يطرقها الشاعر القديم في قصيدته، ومن ثم فهم النقاد القدماء الوحدة في القصيدة على أنها وحدة تقوم على التكثر[٦٢]. وفي إطار هذا الفهم التقليدي لبناء القصيدة تحدث النقاد عما سموه

(براعة الاستهلال) و (المخلص) و (الخاتمة)، إذ "الشاعر الحاذق من يجتهد في تحسين الاستهلال والتخلص وبعدهما الخاتمة، لأنها المواقف التي تستعطف أسماع الحضور وتستميلهم إلى الإصغاء"[٦٣].

وقد أخذ ابن عقيل بهذه التقاليد الفنية في كثير من قصائده، إذ كانت تتألف من مقدمة وتخلص وموضوع وخاتمة، ويكفي أن تأخذ أي قصيدة لترى هذا التكثر في الموضوعات. من ذلك قصيدته التي مطلعها[٦٤]:

أسْرَفْتَ في عَذْل صبّ القلب مكتئب شفاؤه في اللمى المعسول والشَّنب

وهي تقع في ٧٧ بيتاً؛ تغزّل في ١٩ بيتاً، ووصف الخمر ومجلسها في ١٨ بيتاً، وتخلص إلى المدح في بيت واحدٍ، وجعل للمدح والخاتمة ما تبقى من القصيدة.

غير أن هذا الشكل لم يكن قالباً جامداً يصب فيه ابن عقيل قصائده دون روح، وإنما أفاض عليه –أحياناً– من نفسه، ولونه بمشاعره وانفعالاته (فإذا ضرب من العاطفة يذيع في القصيدة كلها، ويبدو في مقدمتها وموضوعها، ويغلب على بقية أجزائها)[٦٥]، ويحقق لها ضرباً من الوحدة والانسجام. من ذلك قصيدته التي بعثها من مصر إلى أخيه جبير يعاتبه على رحيله عنه، وهو في مصر، دون علمه، وهي مطلعها[٦٦]:

زَعَمَتْ مَيُّ أنّ قلبيَ سالِ فاشْمأزّت لزُخْرفِ الأقوالِ

ومع أن القصيدة لم تتناول موضوعاً واحداً، إلا أنه يسري فيها تيار نفسي واحد هو العتاب الذي لا يخلو من حدة. وقد أملى هذا الشعور على ابن عقيل أن يتخير في كل جزء من قصيدته الصور والمعاني التي تعبر عن مكنونات نفسه. فها هو ذا يستفتح القصيدة بنسيب حزين:

زَعَمَتْ مَيُّ أنّ قلبيَ سالِ فاشْمأزّت لزُخْرفِ الأقوالِ

عجبـــاً لابنـــة الجُـــذَيْمِيي إذ لـــمْ فيـــكَ تعْـــصَ مقالـــةَ العـــذّالِ
أعرضـــتْ إذْ رأتْـــك طـــوْع يَـــدَيْها فتصـــدَّت للصـــدِّ بَعْـــدَ الوصـــالِ
وكـــذا الغانيـــاتُ كالـــدَّهر لا تبْـــ ـــقى علـــى حالـــةٍ مـــن الأحـــوالِ

فابن عقيل يشكو في هذا النسيب هجر (ميّ) له وإعراضها عنه، وكيف أنها استمعت إلى قول العذال الذين أوهموها أنه سلا عنها وتغيَّر عليها. وكأن الشاعر يضمن هذا النسيب عتابة لأخيه، وتعجبه من موقفه منه، لذلك أطال فيه –أي النسيب– إطالة أتاحتْ له إفراغ مشاعره؛ فتحدث عن جمال هذه المحبوبة التي استهوته وملكت قلبه مع أنه رجل حليم، حتى إذا ما استوثقت من حبّه لها هجرته وتركته. لذلك نجده في نهاية هذا النسيب يثور في وجه (ميّ)، ويعلن لها أنه سينصرف عنها وعن أمثالها من الحسان، مبيّناً لها أن الموت في ساحات الوغى أهون عليه مما تعرض له منها. وهنا نجد ابن عقيل يضيق بالتلميح وكتم عواطفه، فينفجر بالحديث عن نفسه التي تأبى الإقامة بين قومه الذين لم يقدروه حق قدره، معلناً أنه غير آسفٍ على فراقهم، والابتعاد عنهم:

هـــلْ رســـولٌ عنّـــي يبلّـــغ قـــومي مـــن عقيـــل أولـــي النُّهـــى والفعـــال
أننـــي غيـــر قـــاطن فـــي بـــلادٍ لا يُراعـــى فـــي مِثْلهـــا أمْثَـــالي
أنـــا ذاك الشّـــهم الـــذي بفـــراق الـــ أهـــل والـــدّار إن نـــأى لا يُبـــالي

ويمضي ابن عقيل في قصيدته بنبرة صاعدة ضارباً لنفسه الأمثال ببعض الرّجال الذين أجبرتهم ظروفهم على مغادرة أهلهم وذويهم، ثم يعود فيوجه الخطاب إلى بنيه مصوراً حبه لهم، وحنينه إليهم؛ فهو لم يرحل عنهم (عن قلى أو ملال)، ولكنه رحل رحيل المضطّر:

مـــا أبـــوكم كغيـــره يـــألف الضّيْمـــ ـــمَ، أبـــوكمْ ثبـــتٌ علـــى الأهـــوالِ
ذو جنـــانٍ شْـــهمٍ إذا خامَـــت الأقْـــ ـــرانُ، طلْـــقُ اللســـانِ عِنْـــد النّضـــال

أما حديثه لأخيه فهو عتاب يمازحه الأسى على موقف والده منه ومن أبنائه:

يـا أخـي يـا جبيـرُ ناشَـدْتُكَ اللّـ ـه اتّئِـدْ بالعيـال والأطفـالِ
فـأبوك أمـرؤٌ عليـه فراقـي هـيّن وهـو لا يـودّ عيـالي

وينهي الشاعر قصيدته مصّراً على أن يعيش بعيداً عن قومه، ساعياً وراء تحقيق ذاته:

سـوف أسـعى والأمـر والحكـم للّـ ـهِ معـاً دائمـاً علـى كـلّ حـال

وهكذا فإنّ القصيدة تتشبَّث بالشكل التقليدي، إلا أنّ ابن عقيل صدر فيها عن تجربته الخاصة، واستخرج معانيها من داخل نفسه، وبث فيها لوناً واحداً من الشعور انبثق انبثاقاً دقيقاً من هذه التجربة.

وواضح أنّ الشّاعر لم يلحّ في الحديث عن موقف أخيه وقومه، وإنما اهتم بإبراز موقفه هو منهم، ورد فعله تجاههم، لذا كانت القصيدة تتحرك صعداً على نحو يوازي الحالة النفسية للشاعر، ومن ثم لم يُنْهِ قصيدته بالحديث عن آلامه وأحزانه، وإنما أنهاها بتصوير قوته وعزيمته، لأن هذه الآلام والأحزان ظهرت في فاتحة القصيدة.

وثمَّ نمط آخر من القصائد كان الزرعي يلج فيه إلى الموضوع الرئيسي دون مقدمات، ويتمثل هذا النمط أكثر ما يتمثل في القصائد التي قيلت في أحداث الصراع بين المسلمين والفرنجة، وهذه القصائد تمتاز بوحدة الموضوع. من ذلك قصيدته التي قالها يمدح الملك المعظم عيسى ويهنئه بفتح حصن صرخد سنة ٦١١هـ، ومطلعها[٦٧]:

أضـاءت بـكَ الأيّـامُ وابـتهج الـدّهر وطـال بـك الإسـلام وانخفـض الكفـر

والقصيدة ذات موضوع واحد تنشدّ إليه خيوطها جميعها، هو الثناء على البطل المسلم والتغنّي بقوة دولته والظفر الذي حققه. ومما كفل لهذه القصيدة الترابط والانسجام أن الشاعر أكثر من إيراد الصور التي تصف الأوضاع الجديدة للمسلمين في دولة الملك المعظم، وهنا نجده يقدم ضربين من الصور: صوراً تمثل منعة الدولة وقوة جيوشها، وصوراً تمثل ارتياح المسلمين وفرحهم وابتهاجهم بذلك:

وأشرقت الدنيا سناءً بوجهك السَّـ ـنيِّ وعزَّ العزُّ وافتخرَ الفخرُ
وأثنى عليك اللّهُ والدَّهرُ والورى فكلٌّ له فيك المدائحُ والشكرُ
ودولتك الغرّاءُ أيّامنا بها معظّمةٌ زُهْرٌ محجلةٌ غرُّ
مناقبُ لا يُحصي الخلائقُ بعضَها وكيف يُعدُّ الرَّمل أو يُحْصَرُ القطرُ
حمى في ذراه النَّاس أو كاد يحتمي من الموت مِنْهم كلُّ مَنْ لا له عُمْرُ

وحين يتحدث الشاعر عن قوة الجيوش الإسلامية فإنه يعمد، كذلك، إلى إيراد الصور التي تمثل قوة هذه الجيوش وضخامتها، تقابلها صور تمثل إقدام هذه الجيوش على الحرب، وارتياحها إليها، وانتشاءها بها:

عجاج المذاكي كحلها وخلوقها النّـ ـجعُ وأصداء الدروع لها عِطرُ
مقامهم الحرب الزّبونَ ونقلهم رؤوس العوالي والدماء لهم خَمْرُ
نشاوى بكأس العز تصهال خيلهم يرنحهم في الحرب لا العودُ والزمر

أما حديث الشاعر عن قوة الأعداء، ومنعة حصن صرخد فقد جاء في سياق حديثه عن قوة المسلمين وتغنيه بها، ولما استوفى ابن عقيل ذلك خرج إلى تمجيد القوة لينهي قصيدته:

ومـــا جنحـــوا للسَّـــلم إلا لعلمهـــم بـــأنّ قصـــارى فعلـــك القتـــل والأســـرُ
ومـــا العـــزّ إلاّ مـــتنُ أجـــردَ ســـابح وهنديـــة بتـــرُ وخطبـــة سُمْـــرُ

وإذا كان ابن عقيل كفل لمبنى بعض قصائده نوعاً من الوحدة والانسجام، فإن قصائد أخرى تبدو مفككة بحيث يكون الانتقال فيها من موضوع إلى آخر ظاهراً على نحو واضح ، ولا سيما في القصائد التي يطول فيها نفس الشاعر.

٢- الأسلوب والصورة:

يُمثل أسلوب ابن عقيل الزرعي في بعض جوانبه الأسلوب الشعري الذي يحرص على نشر الأجواء البدوية من خلال النسيب، وذكر الديار، ووصف الظعائن، والحنين إلى بعض الأماكن المعهودة في جزيرة العرب، بالإضافة إلى محاكاة الشعراء الأقدمين في أساليبهم وطرائق تعبيرهم. ولعل انتماء ابن عقيل إلى قبيلة عربية، ونشأته في منطقة حوران، واتصاله بزعماء بعض القبائل في مصر والشام لعل ذلك كله جعله يستشعر روح البداوة في نفسه، وانعكس ذلك على أنماط تفكيره وتعبيره. والشواهد على ذلك كثيرة في شعره، من ذلك الأبيات التالية التي ينحو فيها منحنى الأقدمين في حديثهم عن الحياة الصحراوية، وتصويرهم الأطلال الدارسة، وحنينهم إلى ذكريات الحب القديم [٧٢] :

أشَـاقَك رسـمٌ بعـد أسـماء أوحشـا تخـال بقايـاه الكتـابَ المرقَّشـا
وكـان مصـيفاً للحسـانِ ومَرْبعـاً ومغنـى لمـن أحببتُـه ومعرّشـا
ليـالي يـدعونا الصِّـبا فنُجيبُـه فيرضـى الهوى عنا ويغضب من وشى

ويبدو تمثل الشاعر لمعاني الأقدمين وأساليبهم في الأبيات التالية التي يصف فيها الظعائن، متغنياً بجمال نسوتهن، ومصوراً غيرة قومهن عليهن، ودفاعهم عنهن(٧٣):

للـــه ظعـــن مـــن عقيـــل ودّعـــوا فاســـتودعوا قلبـــي عقيـــل عقائـــلِ
بـــيضٌ وسُـــمْرٌ كـــلّ أبـــيض صـــارم عنهـــا يـــذود وكـــلّ أســـمرَ ذابـــلِ
مـــن كـــلّ ظاميـــة المعـــاطف خرعـــبٌ ريـــا الـــرّوادف، لدْنـــة المتمايـــلِ

وينسج ابن عقيل على أساليب الأقدمين، ويستلهم ألفاظهم وتعابيرهم، ويقلدهم في معانيهم وأفكارهم حين يصف رحلته إلى الممدوح على ظهر ناقة قوية، مصطنعاً الألفاظ الصعبة، والكلمات الجافية، والصور البدوية(٧٤):

وإلا فَسَّـــر الهـــمَّ عنـــك بعْنـــدلٍ من الهوج ميلاء الذراعين عرمسِ
هجـانٌ مـن الصّـهب العثـانينَ تنتمـي إلـى شـدنيّ كـالفنيقِ المجـرفس
دمـــولٌ إذا أممتهـــا عـــرض الفـــلا ضحاءً وفي جُنح الظلام المعسعس

وإذا كان ليس من السهل رد الأشعار السابقة إلى أصولها في الشعر القديم، فإن ثمة أشعاراً أخرى يسهل ردها إلى قصائد بعينها. وهذا النمط يكون فيه التقليد ماثلاً على نحو واضح في الصياغة والمعنى والوزن والقافية، من ذلك قصيدته (٧٥):

أعـد ذكـر نجـدٍ والمقيمـين فـي نجـدِ فلولا هوى نجدٍ صَحَوْتُ منهم الوَجْدِ

فالنسيب فيها ذو صلة قوية بقصيدة ابن الدّمينة التي مطلعها(٧٦):

ألا هَـلْ مـن البَـيْنِ المفـرّق مـن بُـدٍّ وهـلْ لليـالٍ قـد تسـلَّفن مـن رَدِّ

ومما يدل على أن ابن عقيل كان يستدعي معاني قصيدة ابن الدمينة السابقة التشابه بين معاني بعض أبيات الشاعر اللاحق وأبيات الشاعر السابق. فالبيتان التاليان لابن عقيل:

فـإن صـبا نجـدٍ يهـيج صـبابتي إذا هـاج ريّاهـا عـن البـان والرّنْـدِ
نـأت وتصـدّت للصّـدود، وللنَـوى مـع الوصـل خيـرٌ مـن رخـوٍّ علىالبعـدِ

يشبهان لفظاً ومعنى قول ابن الدمينة:

ألا يـا صـبا نجـدٍ متـى هجتِ مـن نْجـدِ لقـد زادنـي مسـراك وجـداً علـى وجـدِ
بكـل تـداوينا فلـم يشـف مـا بنـا علـى أنَّ قُـرْب الـدّار خيـر مـن البعـدِ
علـى أن قـرب الـدار لـيس بنـافع إذا كـان مـن تهـواه لـيس بـذي عهـد

وقصيدة ابن عقيل التي مطلعها [٧٧]:

عـرف الغـرام وأنكـر الأطـلالا إذْ لـم تُجـب عنـد الخطـاب سـؤالا

تدل على أن الشاعر كان ينظر على نحو واع في قصيدة جرير التي مطلعها [٧٨]:

حيـيِّ داة برامـة الأطـلالا رسـماً تحمَّـلَ أحـالا

فقد ذكر ابن عقيل أنه تفوق في قصيدته تلك على قصيدة جرير، وأربى عليها، وذلك في قوله:

أنْسَـتْ بالجزالـة قَولـه "حـيّ الغـداة برامـة الأطـلالا"

وواضح مما سبق أن هناك تشابهاً في الموضوع بين قصيدتي ابن عقيل وقصيدتي ابن الدمينة وجرير، بيد أن هناك قصائد أخرى حاكاها ابن عقيل دون أن تجد تماثلاً في الموضوع بين القصائد السابقة والقصائد اللاحقة، وإنما يبدو التماثل واضحاً في الوزن والقافية والصور والتعابير، أما الموضوع فمختلف. من ذلك قصيدته التي قالها في رثاء حوران [٧٩]:

جـــار الزّمـــان علـــى ســـكّان حورانـــا لا كـان دهـر قضـى بـالجور لاكانـا

فوزن هذه القصيدة وقافيتها وكثير من ألفاظها وتراكيبها وصورها مسلوخة من قصيدة جرير التي مطلعها [٨٠]:

بـــان الخلـــيط ولـــو طُوّعـــت مـــا بانـــا وقطّعـوا مـن حبـال الوصـل أقرانـا

ولعل ارتباط الشاعرين بمنطقة حوران هو الذي جعل الشاعر الثاني يترسَّم خطى الشاعر الأول في هذه القصيدة وغيرها، بالإضافة إلى أن الإطار المكاني للقصيدتين السابقتين واحد. وأورد فيما يلي طائفة متفرقة من قصيدة ابن عقيل تتلوها طائفة ثانية من قصيدة جرير لنرى كيف تأثر الشاعر اللاحق بالشاعر السابق. يقول ابن عقيل:

كـانوا يجيـرون مـن جـور الزمـان فقـد أضـحوا من الجور فـي الأمصـار جيرانا
يومـــاً بـــأوجعَ منـــي إذا وقفـــت علـــى تلـــك القـــرى وتـــذكرتُ الـــذي كانـــا
كـــــأن أظعـــــانهم والآلُ يرفعُهـــــا ســـفائن أشْـــرعت أو نخـــل بيســـانا
تـــرى يعـــود إلـــى الأوطـــان ســـاكنُها فـــأنظر الـــدّارسَ الآيـــاتِ عمرانـــا
صـــاح الجـــلاءُ بهـــم صـــوتاً فمـــا لبثـــوا أن جـــــاوبوه زرافـــــاتٍ ووحـــــدانا

فهذه الأبيات يقابلها من قول جرير الأبيات التالية:

حـــيِّ المنـــازل إذْ لا نبتغـــي بـــدلاً بالـــدّار داراً ولا الجيـــران جيرانـــا
أوليتهـــا لـــم تعلّقنـــا علاقتهـــا ولـم يكـن داخـل الحـبّ الـذي كانـا
كـــأنّ أحـــداجهم تُحـــدى مُقفيـــةً نخـــلٌ بِمَلْهَـــمَ أو نخـــل بُقرّانـــا
هـل يـرجعنّ ولـيس الـدهر مرتجعـاً عـيش طالمـا احلـولى ومـا لانـا
جهـلاً تمنَّـوا حُـدائي مـن ضـلاهم فقـد حـدوتُهمُ مثنـى ووحـدانا

غير أنّ هذا الأسلوب التقليدي لم يكن ليمنع ابن عقيل من أن يتأثر بمظاهر الصنعة اللفظيّة التي شاعت بين شعراء عصره آنذاك، حتى في بعض القصائد التي يصطنع فيها صور التعبير لدى الشعراء العذريين، كما في قوله متكثراً من الطباق والجناس على نحو يدل على أنه لم يكن له غاية فنية من وراء ذلك إلا هذه اللفظية الظاهرة [٨٦]:

إلامَ وعـذري قـائمٌ فـي الهـوى العـذري أُلامُ ، ووجدي ليس يصدر عن صدري؟
وحتـــامَ قلبـــي إن أســـرَّ الـــذي بـــه من الحبّ، ظلَّ الدّمع والسَّقم في جَهْرِ؟
يـنم شـحوبي عـن شـجوني التـي نمـت فيســعدني وجــدي، ويخــذلني صــبري

ولم تكن الصنعة في شعر ابن عقيل مقصورة على البديع بأنواعه، وإنما تعدته إلى التلوين في الأوزان والقوافي، فنظم قصيدة تقرأ على غير ما قافية واحدة، وعلى خمسة أوزان، ومما ورد فيها قوله [٨٢]:

اســـأل يجبْـــك مـــن المعظَّـــمْ نيلُـــهُ المتـــوقّرُ الإحســـانِ والإكـــرامِ
سَـــيْلٌ مـــن الرّفـــدِ العرمـــرمْ وبَلُـــهُ المثعنجـــرُ الهتّـــانِ والإنعـــامِ
يُنبيـك عـن عيسـى بـن مـريْمْ شـكلُهُ المســتظهرُ البرهـــانِ والإعظـــامِ
ثبـــتٌ إذا المقـــدامُ أحْجَـــمْ مثلُـــهُ فمُـــدَمِّرُ الأوثـــانِ والأصـــنامِ

وقد ينحو ابن عقيل في قليل من أشعاره أسلوباً ميسراً يمتاز بالسهولة والوضوح، والاقتراب من اللغة المحكية، واستعمال الألفاظ النابية – أحياناً – وغير النابية مما يشيع على ألسنة العامة. وقد رأينا طرفاً من ذلك في أشعار الهجاء، ونجد مثل هذا الأسلوب السهل في الأبيات التالية التي قالها يبشر بولاية أحد الأمراء، وتقترب هذه الأبيات من اللغة العادية اقتراباً شديداً، وغاية ما هنالك أن ابن عقيل أعرب كلامه، ورتب أجزاءه (٨٣):

أذَّنَ في الأقطارِ داعي الرّشادِ حيَّ على السَّعْدِ ونْيلِ المرادِ
وارتجع الحقّ إلى أهْلِه وعاد ما كان برغم الأعادي
وحلَّ فتح الدّين في حِصنْهِ ذي المنظر الأعلى الرّفيع العمادِ

ومع أن ابن الشعار الموصلي ذكر أن ابن عقيل كانت له القدرة على ارتجال الشعر، إلا أن طابع الخفة الارتجالية لا يبدو في شعره وإنما يبدو فيه – أحياناً – شيء آخر ربما كان من أثر هذا الارتجال، وهو أنّ بعض شعره يحمل أحياناً علامات الفجاجة والتعبير المرسل دون صَقْل، بالإضافة إلى التكرار الذي قد يدل أيضاً على ضآلة في المحصول الفكري للشاعر، حيث تستحوذ عليه أنماط من المعاني والتعابير بصورة تسترعي النظر، كما في الأمثلة التالية المأخوذة من قصائد مختلفة (٨٤):

* ينمّ شحوبي عن شجونيْ التي نَمَت فيسعدني وجدي، ويخذلني صبري
* ينمّ شحوبي عن شجونيَ إذ نَمَت بهنّ ويُبدي الدمعُ ما في أضالعيْ
* نَمَّ شحوبي عن شجوني إذ نَمَت ما حيلتي وأدمعي تكلَّمُ

وحين ننظر إلى الصورة في شعر ابن عقيل فإنّه يستبين لنا أنّ الشاعر لم يكدّ قريحته في تطلب الصور الجديدة أو المولدة التي كانت مقياساً في الحكم للشعر في عصره، وإنما ظل يردد في شعره الصور التي كثر دورانها في أشعار

السابقين، ومن ثم فإن جلّ صور ابن عقيل صور نمطية جاهزة. ومع ذلك فقد تجد بعض الصور التي تصرّف في إخراجها، فبدت جديدة أو كالجديدة، على شاكلة قوله يتحدث عن أخلاق أحد ممدوحيه [٨٥]:

خلـقٌ أرقّ مـن الصَّـهباء لـو قُطِـرتْ يومـاً علـى الملْـح قطـرةٌ عَـذُبا

وقوله مصوراً الدنيا امرأة تلد لتقتل أبناءها [٨٦]:

ولـدت لتقتـل ولْـدَها بعقوقهـا يـا ليتهـا قبـل الـولاد عقـيم

غير أن أنّ بعض محاولات ابن عقيل للإتيان بالصور الجديدة تبدو فجة غير مستساغة كما في الأبيات التالية التي يصور فيها نفسه نبياً بُعث إلى الناس يدعوهم إلى المحبة، ثم يستطرد في الصورة فيجعل لنفسه معجزة وأنصاراً وديناً [٨٧]:

بُعثـت نبيـاً للمحبـة داعيـاً إلى الحبّ عنها من يصدّ ويصدفُ
فمعجـزُ آيـاتي خضـوعي وذلتـيّ وصبري وأنصاري الأسى والتأسّفُ
فـأظهرت للعشّـاق ديـن صـبابةِ بها الحبّ أضحى للمُحبّين يُعرفُ

ومع أنّ ابن عقيل لم تكن لديه القدرة الفنية التي تسعفه على ابتكار الصور، فإنه وبتأثير من مقاييس عصره، كان يعمد إلى الإكثار من التشبيهات والاستعارات المستدعاة من الذاكرة، في البيت الواحد أو في الأبيات المتلاحقة، بحيث لا تغدو للشاعر أية غاية إلا تكديس الصور البيانية، على شاكلة قوله [٨٨]:

وبـدرٍ مـن الجـوزاء صـيغ نطاقُـه من النّجم قرطاه، دُجاه من الشّعْر
نضـا البـيض مـن سـودٍ وهـزَّ قوامـه فصال على العشّاق بالبيضِ والسمرِ
يُشـيرُ بعنّـابٍ ويرنـو بنـرجسٍ ويُسْفرُ عـن بـدرٍ، ويبسـم عـن دّرِ

لذلك لم تؤدِ الصورة في شعر ابن عقيل أكثر من وظيفتها البلاغية، كاستعمالها دليلاً على صحة المعنى، ووسيلة للإقناع بطريقة غير حاسمة، كما في قوله [٨٩]:

أنـــا ذاك الشّـــهم الـــذي بفـــراق الأهْـــ ـــلِ والـــدّار إن نـــأى لا يبـــالي
لا تنـال الحَمْـدَ الظّبـا وهـي فـي الأغـ ـــماد حتـــى تســـلَّ يـــوم القتـــالِ
والهزبـــر الهصـــور فـــي الغيـــل إن أخـــ ـــلَدَ سَـــاقَ الـــرّدى إلـــى الأشـــبْالِ

كما أدت الصورة وظيفتها في التزيين، كما في الأبيات التالية التي يصف فيها جمال أحد الغلمان الأتراك، مستعملاً الصور اللونية التي تمثل حمرة خديه ووضاءة وجهه، والصور الذوقية التي تمثل لذة ريقه، والصور الشمسية التي تمثل طيب رائحته [٩٠]:

فخـــــذاه وَرْدٌ والعـــــذار بنفســـــجٌ وريّـــاه مَسْـــك، والمراشـــف قرقـــفُ
كـــأنّ محيّـــاه الوضـــيء وفَرْعـــه صـــباحٌ وليـــلٌ مســـتنير ومســـدفُ

وصور ابن عقيل معظمها من المنظور، وهو يقف فيها عند الشكل الخارجي، ولا يرتفع بها إلى درجة الإيحاء الفني. وهي كذلك صور جزئية لا يأتلف من مجموعها صور كبرى.

التّوثيق:

١- ابن الشَعَّار، عقود الجمان (ميكروفلم): ١: ١٢٣ .

٢- المصدر السَّابق ١٢٣:١. وقد ذكر ياقوت هذه القرية باسم "زُرًا". وأشار إلى أنها تعرف في عصره باسم "زُرَع وأنها من حوران، ياقوت: معجم البلدان: (زُرّا). وانظر كذلك: العمريّ، مسالك الأبصار (دولة المماليك الأولى): ١٩٠,

٣- عقود الجمان (ميكروفلم) ١٢٣:١,

٤- المصدر السابق.

٥- ابن عقيل الزُّرَعيّ، المختار من ديوان ابن عقيل الزِّرعي (ميكروفلم): ٥

٦- مرو العلاة: لم أجد موضعاً يعرف بهذا الاسم، وثمة قرية تُعرف بـ (مرو) تقع شمال غرب إربد من الأردن، لعلّها المقصودة، وثمّة موضع آخر اسمه "العلاة" ذكر البكريّ أنه أرض بالشام. البكريّ معجم ما استعجم ٣: ٩٦٣، ٩٨٠. بيت راس: قرية في الأردن تقع إلى الشمال من إربد. ابن خرداذبة، المسالك والممالك : ٧٨ ابن عبدالحقّ ، مراصد الاطّلاع ٤١:١ . إربد مدينة في شمال الأردن. ياقوت، معجم البلدان : (إربد) Robinson 3.533

الحصن: قرية تقع إلى الجنوب الشرقي من إربد ١١٢: Schumacher.

٧- ابن عقيل الزّرعي، المختار من ديوان ابن عقيل :٤,

٨- المصدر السابق:٤٢

٩- المصدر نفسه: ٤٥,

١٠- قال هذه القصيدة يمدح متولي ثغر الاسكندريّة، ومطلعها:

هـي الـدّار مـا بـين اللـوى والمعـرّس فُعجْ بالمطايا الهوج فيها وعرِّسِ

المختار من ديوان ابن عقيل: ٦١

١١- انظر المختار من ديوان ابن عقيل : ٤٩،٥٠، ٥٢، ٦٨,

١٢- مطلعها:

أضـاءت بـك الأيّـام وابـتهج الـدّهرُ وطـال بـك الإسـلام وانخفـض الكفـرُ

المختار من ديوان ابن عقل: ١٣.

المختار من ديوان ابن عقيل ,١٣

١٣- مطلعها:

أجِـــدِ المقـــالَ لـــدى لأجـــلّ مقـــامِ فلقـــد نَطَقـــت أمَـــام خيـــرِ إمـــامِ

المختار من ديوان ابن عقيل: ١٢

١٤- منها قصيدة مطلعها:

إلام أُعنّـــــى فـــــي الهـــــوى وأعنَّـــــفُ وحتّـــام يجفـــوني الحبيـــب وأعطـــفُ

المختار من ديوان ابن عقيل:,٥٠

١٥- مطلع القصيدة التتي قالها مهنئاً بالعيد:

الصـــــبر يـــــنقص والغـــــرامُ يزيـــــدُ والـــــدّمع يبـــــدي والســـــقّام يعيـــــدُ

المختار من ديوان ابن عقيل: ,٦٣

١٦- مطلعها:

ســـقى عطفـــه مـــاءُ الصـــبّا فتـــأوّدا وأســـكره خمـــر الـــدلال فغـــردّا

المختار من ديوان ابن عقيل: ,٥٥

١٧- مطلعها:

رفعـــتَ للمُلـــك مجـــداً يخفـــض الشّـــهبا ونـــال فـــي عصـــرك الإســـلام مـــا طلبـــا

المختار من ديوان ابن عقيل: ,٣٨

١٨- مطلعها:

ماشَـــــتْ بقـــــدّ الســـــمهريّ الأهْيَـــــفِ وَرَنَـــــتْ بحـــــدِّ المشـــــرفيّ الأهْيَـــــفِ

المختار من ديوان ابن عقيل :,٢٦

١٩- مدح في هذه السنة الملك الأمجد بهرام شاه صاحب بعلبك، والملك العزيز عثمان، والملك الأشرف (له فيه ثلاث قصائد)، والملك المعظم عيسى، والملك الناصر داود. انظر المختار من ديوان ابن عقيل:٢٢،٥٩، ٦٠، ٧٣، ٧٤، ,٧٥

٢٠- انظر المختار من ديوان ابن عقيل: ,٧٦
٢١- ذكر ابن الشعار أنّ ابن عقيل توفي سنة ٦٢٣هـ، بينما ورد في الصفحة الأولى من المختار من ديوانه أنه توفي سنة ٦٢٢هـ ، ودُفن بمقابر باب الصغير من دمشق.
٢٢- المختار من ديوان ابن عقيل:,٧
٢٣- المصدر السابق: ,٦٢
٢٤- المصدر نفسه : ,١٦
٢٥- نفسه: ٠٥
٢٦- نفسه: ,٤٦
٢٧- نفسه: ,١٨
٢٨- نفسه: ,٧
٢٩- نفسه:,٢٧
٣٠- ذكر بروكلمان هذه النسخة في كتابه تاريخ الأدب العربي ٥: ,٥٠
٣١- المختار من ديوان ابن عقيل:,٢
٣٢- المصدر السابق: ,٤٨
٣٣- المصدر نفسه:,٢٠
٣٤- نفسه:,٢٧
٣٥- نفسه: ,١٧
٣٦- نفسه: ,٢٩
٣٧- نفسه:,٥٩
٣٨- نفسه:,٥٦
٣٩- نفسه:,٧
٤٠- نفسه: ,٣١
٤١-نفسه: ,٦٤
٤٢- نفسه:,٧
٤٣- نفسه:,٩١
٤٤- نفسه ,٥٠
٤٥- نفسه: ,٤١

٤٦- انظر إشارات إلى هذا الاجتياح في: ابن واصل، مفرّج الكروب ٤: ٢٥٧؛ أبو شامة المقدسي، الذّيل على الروضتين : ,١٠٢
٤٧- د. عبدالجليل عبدالمهدي، بيت المقدس في أدب الحروب الصليبيّة: ,١٥
٤٨- المختار من ديوان ابن عقيل :,٣٩
٤٩- ورد فوق هذه الكلمة كلمةُ (زرافات).
٥٠- قال ناسخ الديوان: (لعلّها أمراس).
٥١- ما بين المعكوفتين بياض في الأصل، والزيادة من عندنا.
٥٢- بُصرى: تقع في جنوبي حوران إلى الشرق من درعا. ياقوت، معجم البلدان: (بُصرى) أبو الفداء، تقويم البلدان: ٢٥٢.
الرّمثا: مدينة تقع شمال الأردن على الحدود السوريّة. بيركهارت، رحلات بيركهارت: ١٤.
نجران: قرية إلى الشمال الغربي من السويداء في سوريا . ابن عبدالخالق، مراصد الاطّلاع ٣: ٢٠٠، ياقوت، معجم البلدان : (نجران).
٥٣- حِبال : من قرى وادي موسى في الأردن. ابن عبدالحّق، مراصد الاطّلاع ٢٨٣:١، ياقوت ، معجم البلدان: (حبال). السّراة: سلسلة جبلية إلى الجنوب من البحر الميث: ابن عبدالحق، مراصد الاطّلاع ١٠٠:٢ ياقوت، معجم البلدان: (السَّراة). مآب (مآب ومؤاب): مدينة في جنوب الأردن. ياقوت، معجم البلدان (مآب). المقدسي، أحسن التقاسيم: ١٧٨، ابن عبدالحق، مراصد الاطلاع ٢٥:٣
٥٤- المختار من ديوان ابن عقيل: ,٥١
٥٥- المصدر السابق:,٥١
٥٦- المصدر نفسه: ٥٢ .
٥٧- دعبل الخزاعيّ، ديوانه:,٢٤٤
٥٨- المختار من ديوان ابن عقيل:,٥٤
٥٩- المصدر السابق:,٥٤
٦٠- المصدر نفسه:,٧٦
٦١- نفسه:,٧٦
٦٢- نفسه: ,٦٤
٦٣- نفسه: ,٦٤
٦٤- نفسه:,٣٣

٦٥- نفسه:,٧١
٦٦- د. إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب : ,٣٢
٦٧- الجرجاني: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ,٤٧
٦٨- المختار من ديوان ابن عقيل: ,١٤
٦٩- المختار من ديوان ابن عقيل: ,٤٠
٧٠- المصدر السابق: ,١٢
٧١- المصدر نفسه: ,٤٩
٧٢- نفسه: ,٥٦
٧٣- نفسه: ,٥٧
٧٤- نفسه: ,٢٩
٧٥- ابن الدمينة، ديوانه: ,٨٠
٧٦- المختار من ديوان ابن عقيل:,٧
٧٧- جرير، ديوانه ٤٧:١ .
٧٨- المختار من ديوان ابن عقيل: ,٣٩
٧٩- جرير، ديوانه ١: ,١٦٠
٨٠- المختار من ديوان ابن عقيل: ,٢
٨١- المصدر السابق: ,٧٧
٨٢- نفسه: ,٥
٨٣- نفسه: ٢،٥٦، ,١٢
٨٤- نفسه: ,٣٨
٨٥- نفسه: ,٤١
٨٦- نفسه: ١١٥ .
٨٧- نفسه : ,٢
٨٨- نفسه: ,٤١
٨٩- نفسه: ٥١.

المصادر والمراجع

أولاً: **المخوطات:**

١- ابن الشعار الموصلي، أبو البركات مبارك: عقود الجمان من شعراء هذا الزمان، ميكروفلم رقم ٣٣٩ تاريخ، معهد إحياء المخطوطات العربية، القاهرة.

٢- ابن عقيل الزرعيّ، أحمد بن عقيل بن نصير: المختار من ديوان ابن عقيل الزّرعيّ، مخطوط ، مكتبة طبقبو سراي، تركيا، رقم ٢٨١٦.

ثانياً: الكتب المطبوعة:

٣- د. إحسان عبّاس: تاريخ النقد العربي من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري: نقد الشعر، دار الأمانة ومؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٧١,

٤- بروكلمان، كارل، تاريخ الأدب العربي، ترجمة د. رمضان عبدالنواب، دار المعارف، القاهرة، ط٣ ، ١٩٨٣,

٥- البكريّ، أبو عبيد عبيدالله بن عبدالعزيز: معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق مصطفى السقا، عالم الكتب، بيروت، د. ت .

٦- بيركهارت، لودفش: رحلات بيركهارت، ترجمة أنور عرفات، وزارة الثقافة، عمّان، ١٩٦٩,

٧- الجرجاني، القاضي علي بن عبدالعزيز: الوساطة بين المتنبي وخصومه، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٤٥,

٨- جرير بن عطية، ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب، تحقيق د. نعمان محمد، دار المعارف، القاهرة، ط ٣، ١٩٨٦,

٩- د. حسين عطوان: مقالات في الشعر ونقده، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٧,

١٠- ابن خرداذبة، أبو القاسم : المسالك والممالك، مطبعة بريل، ليدن، ١٨٨٩,

١١- دعبل بن عليّ الخزاعي: ديوانه، جمعه وقدم له وحققه عبد الصاحب عمر الدجيلي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط٢، ١٩٧٢,
١٢- ابن الدمينة : ديوان ابن الدمينة صنعة أبي العباس ثعلب ومحمد بن حبيب، تحقيق أحمد راتب النفاخ، مكتبة دار العروبة، القاهرة، ١٣٧٩هـ.
١٣- أبو شامة المقدسي: تراجم رجال القرنين السادس والسابع المعروف بالذيل على الروضتين، دار الجيل، بيروت، ط٢، ١٩٧٤,
١٤- د. عبدالجليل عبدالمهدي، بيت المقدس في أدب الحروب الصليبيّة، دار البشير، عمان، ١٩٨٩,
١٥- ابن عبدالحق، صفي الدين: مراصد الاطّلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، مطبعة بريل ، ليدن، ١٨٥٢,
١٦- العمري، ابن فضل الله شهاب الدين: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، دولة المماليك الأولى، تحقيق دوروتيا كرافوسكي، المركز الإسلامي للبحوث بيروت، ١٩٨٦,
١٧- أبو الفداء إسماعيل، تقويم البلدان،؟، بغداد، د.ت.
١٨- المقدسي، شمس الدين أبو عبدالله: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مطبعة بريل، ليدن، ط٢، ١٩٠٦,
١٩- ابن واصل، جمال الدين محمد: مفرّج الكروب في أخبار ملوك بني أيوب، تحقيق د. جمال الدين الشيال، دار إحياء التراث القديم ، القاهرة، ١٩٥٣,
٢٠- ياقوت الحمويّ: معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٩٧٩.

ثالثاً: المراجع الأجنبية:

21- Robinson, Edward: Biblical Researches in Palestine and the Adjacent Regions, Jerusalem, 1970.
22- Schumacher, Gottlieb: das Suedlische Basan, ZDPV, 1897, 20: 65-227.